

الجانب الصوفي في فكر وحياة الأستاذ محمد فتح الله كولن

إعداد الدكتور

إبراهيم محمد محمد عمران

مدرس العقيدة والفلسفة

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا






مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم



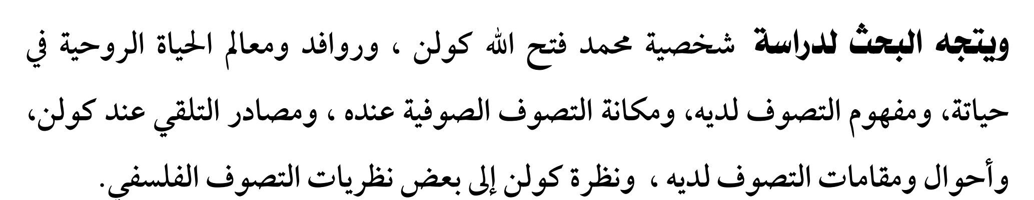

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية





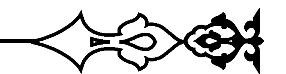
ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة المشروع الحضاري الذي قدمه الأستاذ محمد فتح الله كولن حركة الخدمة وقد غزى به عامة المثقفين في مختلف ميادين الاصلاح والتربية في العالم، ولعل من أهم أسس حركة الأستاذ محمد فتح الله كولن هو الأساس الروحي الإيماني والأخلاقي، والذي يضرب بجذور أفكاره إلى قرون ما يعرف بالتراث الصوفي الأناضولي، ممثلا في " جلال الدين الرومي ١٢٧٣م وغيره من أئمة السالكين، الذي تجسد حيا في القيادة الروحية للأستاذ كولن وكتاباته المستفيضة في هذا الباب، والتي هي روح تسري في كتاباته، وفي تلاميذه وفي مؤسساتهم التي أنشئوها، وفي روح دعوتهم وحركتهم في العالم، ولعل هذا هو السر لكل ما حققته الحركة من إنجازات.



ويتجه البحث لدراسة شخصية محمد فتح الله كولن ، وروافد ومعالم الحياة الروحية في حياتة، ومفهوم التصوف لديه، ومكانة التصوف الصوفية عنده ، ومصادر التلقي عند كولن، وأحوال ومقامات التصوف لديه ، ونظرة كولن إلى بعض نظريات التصوف الفلسفي.

وقد توصَّلت الدِّراسةُ إلى جملةٍ من النتائجِ منها: البناء النفسي والفكري لكولن، وتمثل ذلك في المحيط الأسرى، الذي جمع بين كل من عاش فيه الزهد والورع ورقة القلب، علاوة على شيوخة الذين تربى على أيديهم منذ الطفولة، ومنها أن مظاهر الجانب الصوفي في حياة فتح الله كولن نهجه منذ بداية حياته منهج الزهد والتقشف، ورفعه شعار الحزن والبكاء حتى لُقب بالبكّاء. ومنها أن مما يبرز نزعة الأستاذ كولن الصوفية؛ اهتمامه بالتصوف، واعتباره طريقا مفتوحا إلى تشرب شهد المعرفة الإلهية، ومنها أن مما يؤكد على صوفية الاستاذ كولن؛ إعتماده مصادر الصوفية في تلقي مسائل الدين، ومنها ترجح كون الأستاذ كولن صوفياً؛ رأيه في نظريات التصوف الفلسفي، فقد تعرض لهذه النظريات عند من قال بها بالشرح والتحليل، وحاول جاهدا أن يجد مخرجا لهم، فأحال كل ما صدر عنهم في ذلك إلى أحوال وأذواق.





The Sufi Aspect of Ustaz Mohammed Fathallah Kolin's Life and Thought

By: Dr. Ibrahim Mohammed Mohammed Omran
Lecturer of Philosophy and Creed
Faculty of Usoul Al-deen and Islamic Dawah in Tanta
Eb_emran١١٩٧٤@yahoo.com



Abstract

This research handles the civilizing project presented by Ustaz Mohammed Fathallah Kolin to the Service Movement. This project has influenced all the intellectuals of education and reform in the world. One of the most important foundations of Ustaz Mohammed Fathallah Kolin's Movement is the spiritual, faithful and moral basis whose roots and ideas go back to many centuries across what is known as The Anadolu Sufi Heritage, as embodied in "Jalal Al-Deen Al-Roumi 1273 A.D." and others of the righteous Imams. That heritage has been lively introduced in the spiritual leadership of Ustaz Kolin and his detailed writings in such chapter. The lively spirit has also penetrated his writings and his disciples with their established organizations as well as in the spirit of their mission and their movement in the world. Hence, this could be the secret of all what the movement has accomplished.

The research is keen to study the identity of Mohammed Fathallah Kolin, the roots and characteristics of his spiritual life, the concept and

value of Sufism for Kolin, his sources of reception, circumstances and values of Sufism, and Kolin's viewpoints concerning some philosophical Sufism.

The research has deducted a group of results: first, Kolin's psychological and intellectual structure as seen in the domestic milieu including his selflessness, piousness and his tenderness as well as the senility of those who brought him up since his early childhood. Second, the characteristics of the Sufi aspect in Kolin's life are tacitly clear in his approach of selflessness and asceticism together with his motto of melancholia and shedding tears. Third, what makes Ustaz Kolin's Sufi inclination clear, is his growing interest in Sufism and considering it the paved road to acquiring divine knowledge. Fourth, what asserts Ustaz Kolin's Sufism is his reliance on mystic sources concerning the issues of religion. Fifth, what proves Ustaz Kolin's Sufism is his viewpoint regarding the theories of philosophical Sufism. He has explained and analyzed those theories and did his best to find a way out for the theorists by considering all what they have stated related to their circumstance and their idiosyncratic flavor.



Key words: the Sufi aspect- Fatahallah Kolin- psychological structure- Sufism- philosophical Sufism.



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد – ﷺ – وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد .

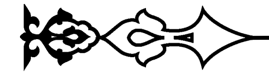
تكمن أهمية هذا البحث في أن المشروع الحضاري الذي قدمه الأستاذ محمد فتح الله كولن قد غزى عامة المثقفين في مختلف ميادين الاصلاح والتربية في العالم، فإن من يؤرخ لهذا الموضوع سيجد أن من أهم الأعمال في هذا القرن هو ما قام محمد فتح الله كـ–ولن في مش–روعه حركة الخدمة .



ولعل من أهم أسس حركة الأستاذ محمد فتح الله كولن هو الأساس الروحي الإيماني والأخلاقي، والذي يضرب بجذور أفكاره إلى قرون ما يعرف بالتراث الصوفي الأناضولي، ممثلا في " جلال الدين الرومي ١٢٧٣م وغيره من أئمة السالكين، الذي تجسد حيا في القيادة الروحية للأستاذ كولن وكتاباته المستفيضة في هذا الباب، والتي هي روح تسري في كتاباته، وفي تلاميذه وفي مؤسساتهم التي أنشئوها، وفي روح دعوتهم وحركتهم في العالم، ولعل هذا هو السر لكل ما حققته الحركة من إنجازات.

لقد حظت شخصية الأستاذ كولن بدراسات عدة شملت التربية، والتجديد والإصلاح، وجهوده الفكرية والفلسفية، وغير ذلك، لكن قلما نعثر على دراسة خاصة اهتمت بالحياة الروحية والصوفية عنده، رغم ضخامة المادة الصوفية المنتشرة في كتبه، فقد تحدث عن التصوف وجمع كل ما يحيط به من معاني، ومقامات، وأحوال، ومصطلحات، ولم يكتف بالحديث بل وضع كل ذلك موضع التطبيق في حياته، وقد أشار إلى ذلك كل من عايشه وعاشره.

يقول أديب الدباغ عن كولن " لقد قرأ لعمالقة التصوف الكبار، من عرب وفرس وترك، وكان له من وجدانه الشاعرى، وحسه المرهف خير مِعوَانٍ على ذلك، فشرب من





الكأس نفسها التي شربوا منها، وخاض البحار نفسها التي خاضوها، وعانى مما عانوا، وَوَجَدَ مثل وَجدِهِم، وأتَّقَدَت سمشُ المحبة في قلبه كما اتَّقدت في قلوبهم، وسكب الغرير من الدموع كما سكبوا، وأنَّ، وحَنَّ، وفاض وَجدُهُ، والتهب شوقُه، وعلا نشيجُه، واحترق قلبه "[1]

ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتعالج جانبا من الجوانب البارزة في فكر وحياة الأستاذ محمد فتح الله كولن، وهي بعنوان: ـ الجانب الصوفي في فكر وحياة الأستاذ محمد فتح الله كولن

أسباب اختيار الموضوع: إنّ مما دفعني لاختيار هذا الموضوع ما يلي:

١- مكانة محمد فتح الله كولن الدعوية فهو من أشهر الناشطين الأتراك على مستوى العالم " احتلّ المرتبة الأولى في قائمة أهم مائة عالم في الاستطلاع الذي أجرته مجلة " فورين بوليسي" سنة ٢٠٠٨م – وهي مجلة أكاديمية أمريكية ذائعة الصيت – ومجلة "بروسبيكت" البريطانية المشهورة، وقد أنشأت له عدة جامعات في الولايات المتحدة، وإندونيسيا، وأستراليا، أقساماً خاصة باسمه كرسي أكاديمي، ومراكز علمية متخصصة، وانعقدتْ مؤتمرات وندوات دولية عديدة في جامعات عالمية لدراسة أطروحاته ونظرياته الدعوية والفلسفية والإصلاحية والتربوية، وهو أول مسلم يحصل على جائزة غاندي العالمية للسلام "[2]

٢- انتشار حركته انتشارا كبيرا حول العالم، فخلال ربع القرن الأخير انتشرت حركته في أغلب الدول على امتداد القارات الخمس، حيث إن لكولن وحركته أنشطة وبرامج تعليمية وثقافية وخدمية وغيرها في نحو ١٧٠ دوله عبر العالم فللحركة ما يقرب من ٣٠٠٠ مدرسة

(١) أديب إبراهيم الدباغ، مقدمة التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، لمحمد فتح الله كولن، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط/ دار النيل للطباعة والنشر، ط/ الخامسة، ٢٠١٢م/ ١٤٣٣هـ، ٧.

(٢) د/ جمال جمعه السفرتي، الإمام " محمد فتح الله كولن ومنهجه في التجديد والإصلاح "، بدون ذكر تاريخ الطبعة ومكان الطبع والمطبعة، ص٥

و٣٠ جامعة في دول كثيرة "[١] كما أن الانتشار الكبير لكتـبه - والتي وصلت إلى أكثر من تسعين كتابا باللغة التركية، وقد ترجم العديد منها إلى أكثر من ثلاثين لغة منها العربية -، لمن أعظم الأسباب التي تؤكد أهمية دراسة هذه الشخصية من جوانبها المتعددة

٣ - تقويم ما صدر عن البعض من كون الأستاذ كولن ليس صوفيا؛ ويُعلل لذلك بأن تأكيد كولن على الفاعليات والنشاطات الجماعية لحركته ليؤكد على أنه يقدم صورة للدعوة الإسلامية تتسم بالاعتدال، وبعيدة عن التصوف الذي يعني " العزلة والخلوة "، علاوة على نفي الأستاذ كولن ذلك عن نفسه، بقوله " وكما أنني لم أنضم قط لأية طريقة صوفية " ويعلل لقبه " بخوجه " الذي يعني الشيخ أو الأستاذ - وهو ما كان يطلقه الصوفية على شيخهم في العهد العثماني -ـ بأنه نوع من التوقير فقط.

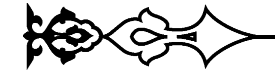
والحقيقة أن كل ذلك لا ينفي عن الأستاذ كولن كونه صوفيا، وقد وصفه أحد الباحثين" أنه صوفي على أسلوبه الخاص"[٢] لأن كثيراً من كب-ار الصوفية كرابعة العدوية ١٣٥ه-، والجنيد بن محمد الخراز ٢٩٧ ه-، والحارث بن أسد المحاسبي ٢٤٣ ه-، وجلال الدين الرومي وهو من تربي الأستاذ كولن على يديه، وغيرهم كثيرا لم ينتمون لطريقة صوفية معينة.

منهج البحث: - يُعتمد على المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي للاستفادة من إمكانيتها في دراسة قضايا هذا البحث، وذلك بالرجوع إلى مؤلفات كولن المترجمة إلى اللغة العربية، واستقراء آرائه وترجيحاته في المسائل المتعلقة بالتصوف أحواله ومقاماته ونظرياته، ثم تحليلها واستخراج ما جاء فيها من أثر للتصوف على فكره وحياته، ويصحب ذلك المنهج

---

(١) صابر المشرفي، ونوزاد صواش، مواقف في زمن المحنة، حوارات إعلامية مع فتح الله كولن، ط/ دار النيل ط/ الأولى ٢٠.

(٢) زكي ساري توبراك، السلام والتسامح في فكر كولن، ط/ دار النيل، الأولى ٢٠١٧ه، ٣٩.



النقدي عند اختلاف الآراء بينه وبين العلماء فالترجيح بين الآراء يستلزم نقد غير الصحيح منها .

خطة البحث: ـ

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.



فأما المقدمة: -

فتشتمل على أسباب اختيار الموضوع، ومنهج البحث فيه، وخطته.

وأما التمهيد: -

فيشمل التعريف بمحمد فتح الله كولن.

أما الفصل الأول فبعنوان: التصوف وحقيقته لدى محمد فتح الله كولن.

ويشتمل على ثلاثة مباحث:ـ

المبحث الأول: روافد ومعالم الحياة الروحية في حياة كولن:

البحث الثاني: مفهوم التصوف لدى كولن:

المبحث الثالث: مكانة التصوف الصوفية عند كولن.

أما الفصل الثاني فبعنوان: مقامات ونظريات التصوف لدى كولن:

ويشتمل على ثلاثة مباحث :-

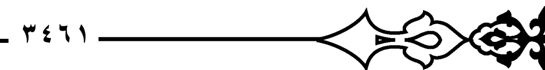
المبحث الأول: مصادر التلقي عند كولن.

المبحث الثاني: أحوال ومقامات التصوف لدى كولن.

المبحث الثالث: نظرة كولن إلى بعض نظريات التصوف الفلسفي.

الخاتمة: -

وتشتمل على خلاصة البحث، والتوصيات، وثبت المراجع والمصادر، وفهرس الموضوعات.





تمهيـــد

محمد فتح الله كولن النشأة والتكوين

اسمـه: محمد فتح الله كولن بن رامز أفندي بن شامل آغا بن الملا أحمد بن خورشيد[١].

مولـده: ولد محمد فتح الله كولن في ٢٧ نيسان/ أبريل١٩٤١م[٢] في قرية كورجوك التابعة لمحافظة أرضوم التي تقع في الشمال الشرقي من تركيا،[٣]، اعتنق أهلها الإسلام في زمن خلافة عثمان بن عفان -ـ ﷺ -ـ[٤].

لقبـه وكنيته: كان له لقبان: أحدهما: " الأسري كولن، ومعن-اه "الضحاك"، والثاني: "خوجة أفندي" ومعناه " السيد الأستاذ " [٥].

حياته ونشأتـه: نشأ كولن في عائلة متوسطة الحال، لكن مكانتها العلمية كبيرة، فطلب العلم كان ثروتها الحقيقية، فعاش طفولته وصباه في كنف جده " شامل" الذي كان محترما في القرية، وكان ضحكه التبسم، وكان عصيا على البكاء"[٦] وجدته " مؤنسة "، وقد توفيا معا

(١) جمال جمعة السفرتي، الإمام محمد فتح الله ومنهجه في التجديد والإصلاح، ١٨، د. فؤاد عبدالرحمن البنا، العروج الحضاري، بين مالك بن نبي، وفتح الله كولن. نشر إدارة البحوث والدراسات الإسلامية ــ قطر، كتاب الأمة ١٥٥، ط/ أولى ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣ م ٤٣.

(٢)ارطغرول حكمة ، فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر، ط/ دار النيل، الاولى، ٢٠١٣، ٢٢.

(٣)يراجع: المصدر السابق ١٣.

(٤)يراجع: د. جمال جمعة السفرتي الإمام محمد فتح الله كولن ومنهجه في التجديد ١٨.

(٥)المصدر السابق ١٤-١٥.

(٦) أبو زيد عبد الرحيم عبد العاطي، التجديد في الفكر المعاصر في تركيا، نموذج دعوة محمد فتح الله كولن، رسالة ماجستير، مصر ٢٠١٠، غير مطبوعة، ٢.



في يوم واحد سنة ١٣٧٤هـ-١٩٥٤م، وهو في السادسة عشرة " [١]

وأما والده رامز افندي" فقد عمل في الخدمة العسكرية في بداية العهد الجمهورى، أتم حفظ القرآن الكريم وهو في الثلاثين، كان شغوفا بالعلم والمعرفة " ووالدته رفيعة " هانم" فكانت من أسرة عريقة في المجتمع التركي " فعمها مفتي الشام يومئذ، وكانت ربة منزل فيه خمسة عشر فرداً تقوم على شؤونهم" [٢]



ويمكن القول بأنّ أسرة الأستاذ كولن كانت تتميز بقدر كبير الترابط الاجتماعي فقد " قضى طفولته في هذه البيئة المحافظة على القيم المعنوية، وفي جو من أجواء التكية [٣] والمدارس الدينية "[٤] ، وهكذا يتضح الجو العام الذي نشأ فيه كولن مما كان له الأثر الايجابي على نشأته فيما بعد.

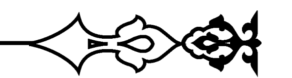
---

(١) إبراهيم البيومي غانم، خوجا أفندي: محمد فتح الله البسام الأناضولي، مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، القاهرة، ١٩ــ ٢١ أكتوبر ٢٠٠٩، ط/ دار النيل ١٤٣٢هــ ٢٠١١م، ٢٠٦

(٢) المصدر السابق ١٩/ ٢٠٨.

(٣) الزوايا: تعرف بأنها مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة نشأت لإقامة المنقطعين للعبادة من الصوفية وطلاب العلم.

(٤) محمد أنس أركنه، فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية ،ط/ دار النيل ط/ الأولى ٢٠١٠م، ٣٢.



الفصل الأول



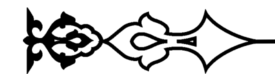
التصوف وحقيقته عند الأستاذ كولن

ويشتمل على ثلاثة مباحث :ـ

المبحث الأول : روافد ومعالم الحياة الروحية في حياة كولن .

المبحث الثاني : مفهوم التصوف لدى كولن .

المبحث الأول : مكانة التصوف والصوفية عند كولن .



المبحث الأول

روافد ومعالم الحياة الروحية في حياة كولن

أولا: روافد الحياة الروحية عند كولن.

١ -ـ **الوسط الأسرى**: - لا شك أن طبيعة الأجواء الروحية التي كانت تطبع الحياة الاجتماعية في منطقة أضروم، ثم طبيعة التربية التى تلقاها كولن قد أثرت في شخصيته وطبعتها بطابع روحاني، فمن المعلوم أن الأستاذ كولن ينحدر من أسرة معروفة بروحانيتها الكبيرة، يضاف إلى ذلك شيوخه الذين أثروا فيه، فعامل الوسط الذي ترعرع فيه هو من ساهم بالإضافة إلى عوامل أخرى في اهتمامه بالتصوف من جميع جوانبه السلوكية والفكرية.

" **كان الملا أحمد بن خورشد أغا** والد شامل أغا جد الأستاذ كولن قد أثر الزهد، فحياته كلها تنسك وتعبد، لم يُرى نائما في الثلاثين عاما الأخيرة من عمره، وكان يمضي أغلب وقته بين العمل والذكر والصلاة.

وكان شامل أغا جد فتح الله أشبه الناس بوالده، حياة الروح هي محور أفعاله، فشعاره اللهم لا عيش إلا عيش الأخرة حياته حياة الأولياء، يتهجد حتى الفجر، ويصوم حتى تظن أنه لا يفطر" (١).

وأما جدته مؤنسة فكانت شخصية معروفة بالبكاء:" يقول عنها الأستاذ كولن: كانت تعيش حياة روحية خاصة، فهي كثيرة التفكير والبكاء، كانت رقيقة القلب لينة الطبع، لها عمق البحر المحيط، مؤمنة بربها، وورعة تقية"

وأما والده رامز أفندي فقد كان محباً لرسول الله -ـ ﷺ - وصحابته الكرام، يقول الأستاذ كولن " كنا نحب الصحابة - ﷺ - وكأنهم أفراد عائلتنا، وعندما يتحدث أبي عنهم كان

---

(١) أرطغرول حكمة، فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر، ١٤ــ ١٥.



ينهمر بالبكاء وكأنه يعيش في عصرهم " [1]

وأما والدته رفيعة - هانم- فقد " دأبت على تعليم القرآن الكريم لنساء القرية، فكان لها أكبر الأثر في حياته بعشقها لتعليم القرآن الكريم، و مواظبتها على أداء العبادة، وحياتها المليئة بالمسؤوليات"[2]

ومن يشاهد الأستاذ كولن؛ وهو يبكي لا تكاد عيناه تتوقفان عن الدموع، وقد أضحى كبير البكائين المعاصرين، إذ لا يكاد يتكلم دون بكاء يدرك بأن لهذا الحزن العميق ولهذا البكاء الغزير أصلا في عائلته."[3]

٢ـ أهم شيوخه: محمد لطفي أفندي ويعرف - الشيخ ألوارلي أفه -:

لازم الأستاذ كولن شيخه الألوارلي من طفولته حتى شبابه، ولذا يؤكد أنه مدين له بقسم كبير من مشاعره وأحاسيسه وبصيرته، فالصفاء الروحي للشيخ فتح أمام تلميذه الباب للولوج إلى مدارج الاتقاء" [4]

يقول الأستاذ كولن:" رغم مرور السنين لا زلت أشعر بطزاجة لمسات الشيخ محمد لطفي الحانية على أذني، وهو يقول لي ألين أذنيك لكي يتفتح ذكاؤك، وتقوى فراستك " [5]

ويؤكد كولن على أن ارتباطه هو وأسرته بالشيخ هي بمثابة ارتباط المريدين بشيخهم، يقول:" كنت أتذوق كلامه كمن يتذوق شهدا خالصا، كنت إذا تحدث أنصت إليه وكأن على رأسي الطير، فكلامه ينفذ سريعا إلى أعماقي، وكأنني بإزاء عالم عظيم الشأن، والدي

---

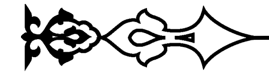
(١) المصدر السابق، ٢١٥.

(٢)ارطغرول حكمة، فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ١٩.

(٣) راجع أشواق النهضة، ٢٥٦.

(٤) أشواق النهضة، ١٤٣.

(٥) إبراهيم البيومي غانم، خوجا افندي: محمد فتح الله البسام الأناضولي، ٢٢٣ .



ووالدتي كان ارتباطهما به ارتباط مريدين بشيخيهما، وكنت أنا جزء من هذا الكل الروحاني.

والشيخ " ألوارلي أفه" كان صوفيا صاحب أحوال ومقامات روحية عالية، فالعشق والفناء في الله تعالى؛ كانا سبيلا للشيخ لدرجة يغيب فيها عن نفسه أحيانا، يقول الأستاذ كولن:" كان الشيخ ألوارلي أفه باعتبار عالمه الداخلي عميقا جياشا بالعشق والهيجان، وكان حاله في مجالس الذكر يبدو مثالاً حيً اثرائه القلبي هذا،... وفي تلك المجالس كان فضٍيلتهُ يتجه بكل ذاته إلى الحق تعالى، ويغيب عن نفسه أحيانا، .. وحين ينفعل أحد الموجودين فائضة عيناه بالدموع، فإن هذه الحالة تسرى في الأخرين، وتكون مناخا من العشق والانفعال لدى الجميع، ما زلت أشعر بتأثيره على الرغم أنني شهدت كل هذه الأمور في طفولتي " [1].

ثانيا: معالم الحياة الروحية في حياة كولن:

أولا :ـ البكاء في حياة كولن:ـ

البكاء: ـ ميزة تميز بها الأستاذ كولن حتى لقب بالبكّاء؛ وهو من أعظم مظاهر التأثير في الجماهير، ويدل على عمق الإخلاص الذي يكنّه لما يؤمن به من قيم ورؤى يتطلع إلى غرسها في قلوب الناس وفي عقولهم، إن بكاء كولن بكاء ذو نغم خاص ونكهة نادرة، فهو بكاء وجودي يحقق به وجوداً نظيفاً بعد أن يغسله بدموعه ويسقيه بالعبرات المتدفقة من مقلته، لعل الثمار التي غرسها تنمو وتثمر "[2]

يقول الدباغ " فتح الله كولن عبقرية غلابة لا شك في ذلك، ولكنها عبقرية حزينة بعض الشيء، غير أن حزنها عذب وبنّاء وعطاء"[3]، ويقول د/ البيومي، " لقب–ـه الع–ـائلي كولن ومعناه البسام، ولكنه لا يكاد يبتسم إلا نادرا، وجل أحاديثه وخطبه مبلله

(١) محمد فتح الله كولن، شد الرحال لغاية سامية، ترجمة عبد الله عنتر، د. عبد الرازق أحمد، ط/ دار النيل، ٢٠١٤/ ٢٢٩، ٢٣٠

(٢) أشواق النهضة، ١٣٠.

(٣) أديب الدباغ، الضاربون في الأرض، ط/ دار النيل، القاهرة، ط/ أولى ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢ م، ٤٢.

بالدموع" [1]

والبكاء هو سمت للصوفية قديما وحديثا، وهو ليس من الإنفعال بشيء، وإنما هو ميزة سلوكية يختص بها الصوفية، فالبكاء عندهم من فنون الرياضات[2]، وقد تسمت جماعة منهم بالبكائيين من كثرة بكائهم .[3]

ثانيا :ـ العزوبة :ـ

لم يثبت إلى الآن أنّ الأستاذ كولن تزوج! مع أنه "عُرض عليه الزواج كثيراً سواء من أقاربه أو من أصدقائه، ولكن بلا جدوى، وكان رده عليهم بقوله: "لا يعلم نيتي وما في أعماق قلبي إلا الله، فضلت أن لا يشغل عقلي شيء سوى خدمة الدين والدعوة، ميزاني دقيق وحساس فربما تضيق به النساء"[4] ".

والأستاذ كولن يجعل الزواج عدو للوصال والمعية مع الله، يقول:" الاشتياق الحاصل في أثناء الافتراق بعد مشاهدة المحبوب والوصال به، فأنين المحبين ما هو إلا صراخ لما يشعرون به من شوق نحو الوصال والمعية التي عرفناها في الميثاق الأول، ويستمر هذا الصراخ إلى الموت الذي عدوه " ليلة الزفاف " [5].

ويقول العشرتي معلقا على عزوبة الأستاذ كولن " من تمام الإخلاص أن يكون قلبك مشرعاً لعشق فريد لا يساهمك فيه مساهم، إن عزوبة الصالحين تندرج ضمن منهج التخلية

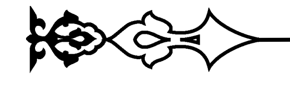
(١) إبراهيم البيومي غانم، خوجا أفندي: محمد فتح الله البسام الأناضولي، ٢١٩.

(٢) د. عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ط/ دار المسيرة بيروت، لبنان، ط/ الثانية، ١٤٠٧هـ، ٣٦.

(٣) د. على سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط/ دار المعارف، القاهرة، ط/ التاسعة، ٣ / ١٤٠.

(٤) أرطغرول حكمة، فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر، ٤٠.

(٥) محمد فتح الله كولن التلال الزمردية، ٢٣٨.





الذي ينهجونه قاعدة للتعبئة والانطلاق، ومن بركات هذه التخلية أنها تتيح للسالك أن يوسع من أفق تأمله الروحي"[1]

ومن المعلوم أنّ أرباب التصوف يندر أن تخلو كتبهم من أبواب مستقلة في مدح العزوبة[2]، يقول السهروردي " التزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخصة، وجوع من الترمح إلى النقص، وتقيد بالأولاد والأزواج، ودوران حول مظان الاعوجاج، والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة، وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة وعلى كل حال فإن التشبث بالتفرغ الكامل لخدمة الدين والدعوة إلى الله تعالى كعذر لترك الزواج هو عذر يصعب قبوله، فإمام الدعاة -ـ ﷺ - كان متزوجاً، وقد رفض -ـ ﷺ - أعتزال النساء وترك الزواج"[3].



ثالثا :ـ العزلة:ـ

يفهم الأستاذ كولن العزلة والخلوة ليس بالبعد التام عن الخلق، إنما هي كالشعور بالغربة وإن كان الإنسان بين أهله واحبابه، فأصحاب الخلوة بهذا المفهوم في خلوة دائما حتى وهم بين الناس.

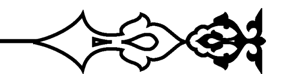
يقول الأستاذ كولن:" ولما كان المراد من العزلة والخلوة تطهير بيت القلب من الأغيار، والبقاء مع المولى دائما، فإن أصحاب الأرواح التي هي بين الخلق والموصولة مع الحق سبحانه، وكذا أرباب القلوب التي تراقب التوحيد باستمرار حتى في أقصى نقاط الكثرة،

---

(١) د/ سليمان العشرتي، الانبعاث الحضاري في فكر فتح الله كولن، ط/ دار النيل، القاهرة، ط/ أولى ١٤٣٣هـ. ص٢٢١.

(٢) شهاب الدين السهروردي عوارف المعارف نشر: دار الكتب العلمية; بيروت: ١٩٩٩م. ١/ ٣٨٥، وعبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: دكتور عبد الحليم محمود، ودكتور محمود بن الشريف، نشر: دار المعارف، القاهرة،١٨٤.

(٣) في حديث النفر الثلاثة، انظر صحيح البخاري في كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح، ح برقم ٥٠٦٣ .



يعدوّن هم في الخلوة دوما،... وفي الحقيقة ليس في الخلوة الماورائية تجرد عن الخلق واعتزالهم، وحسب تعبير مولانا الرومي؛ إن الإنسان في مثل هذه الخلوة كالفرجال، إحدى ساقية في أُفق اللاهوت والأخرى في قطب الناسوت، يعيش في كل آن عروجاً ونزولاً آخر معاً، وهذه هي الخلوة المعروفة لدى الأنبياء والأصفياء " [1]

وقد استدل الأستاذ كولن على شرعية العزلة بأنها سلوك الأنبياء والأصفياء، فهي ضرورة لتصفية النفس بالبعد عن الخلق، يقول كولن:" الخلوة قديمة، بل ضاربة في القدم، وذلك بمعناها العزلة عن الخلق وأخذ النفس بالرياضات؛ ويمكن سحبها إلى عهود الأنبياء العظام عليهم السلام، ففي المقدمة فخر الإنسانية وكثير من الأنبياء والأولياء قد زاولوا الخلـوة والعزلة "[2] ويتحدث كولن عن فترات العزلة قائلا " أما مقدار هذه الفترة فقد كان ستة أشهر عند رسولنا – ﷺ –، وخمس سنوات أو عشر سنوات عند الأولياء والأصفياء، بل كان منهم من عاش حياة انزواء ستين سنة"[3].

رابعا :ـ غاية العبادة وشرطها :ـ

فأما عن غاية العبادة فيقول الأستاذ كولن: "لا ينبغي أن نتخذ من خدمة الإيمان والقرآن سبيلاً إلى الألطاف والعطايا الإلهية أو طريقاً لبلوغ مرتبة الولاية أو حتى للوصول إلى غايات سامية كالفوز بالجنة والنجاة من النار، فمن جعل هذه الأمور منتهى غاياته في خدمته الإيمانية والقرآنية أفسد الأمر"[4].

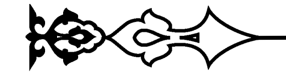
ويقول أيضاً:" إنّ على الإنسان ألا يؤدي عباداته طمعاً في الجنة أو خوفاً من النار، بل

(١) كولن ، التلال الزمردية، ٥٨ .

(٢)المصدر السابق، ٥٣- ٥٤ .

(٣)كولن، أضواء قرآنية في سماء الوجدان، ط/ دار النيل، الخامسة ٢٠١٠ م، ١٩٧.

(٤) كولن، الجرة المشروخة، شد الرحال لغاية سامية، ٩٦.




لأنه عبد الله، ولأن الله أمره بها "(١).

وهذه الغاية في العبادة من النظريات الصوفية التي دار حولها جدل كبير وتنسب إلى وهذا فأثنى الله جل جلاله على من جمع بين الرجاء والخوف .

وأما شرط العبادة فيشترط الأستاذ كولن حصول المشقة والصعوبة في أداء التكاليف الشرعية، فيقول في تعريف العبادة إنها:" قضاء الحياة بامتثال أوامر الله وتكاليفه، وهي: أداء كل تكليف من التكاليف المالية والبدنية بمشقة وصعوبة، مع غاية الخوف والرجاء الدائرين حول النية والإخلاص"(٢).

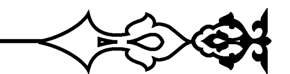
وهذا بخلاف لما قصده الإسلام من رفع الحرج ودفع المشقة، وهو أصل مأخوذ من قوله تَعَالَىٰ:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾ البقرة: ١٨٥، وهذا أمر مشهور لدى الصوفية فالعزلة والرياضة النفسية والبدنية الشاقة والمجاهدة والاعتكاف في المغارات، ما هو إلا دليل على ذلك"(٣).

وقد أكد الشيخ محمد رشيد رضا إلى تأثر الصوفية بالأديان الوضعية والوثنية في مفهوم الزهد تأثرا ابتعدوا به عن روح الزهد في الإسلام فيقول:" وأما ترك الطيبات البتة كما تترك المحرمات تمسكاً وتعبداً لله تعالى بتعذيب النفس وحرمانها، فهو محل شبه فتن بها كثير من العباد والمتصوفة، فكان من بدعهم التركية، التي تضاهي بدعهم العملية، وقد اتبعوا فيها سنن من قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع، كعبادة بني إسرائيل ورهبان النصارى، وهؤلاء أخذوها من بعض الوثنيين كالبراهمة الذين يحرمون جميع اللحوم ويزعمون أن النفس لا تزكو

(١)كولن، جيلنا وإشكالاته العصرية، ترجمة أورخان محمد على، د. عبدالله محمد عنتر، ط/ دار النيل، الأولى، ٢٠١٦م، ١٢٩.

(٢) محمد فتح الله كولن التلال الزمردية، ٩٥.

(٣) ينظر: د/ محمود عبد الرازق، المعجم الصوفي، بدون ذكر للمطبعة وتاريخ الطبعة، ٥/ ١٨.



ولا تكمل إلا بحرمان الجسد من الذات، وقهر الإرادة بمشاق الرياضات"[1] وهذا بخلاف ما مقرر في الإسلام من رفع الحرج ودفع المشقة في الشريعة الإسلامية .[2]

خامسا :ـ معالجاته الصوفية :ـ

لقد عالج كولن القضايا والمسائل معالجة روحية وجدانية ظهر فيها تصوفه جليا، والأمثلة على ذلك كثيرا نذكر منها:-

١ـ حديثة عن رحلتي مكة والمدينة :ـ

يقول فتح الله كولن: " كانت هذه الرحلة المباركة تتم في السابق على ظهور الخيول والإبل. ويصادف كل حاج في طريقه عشرات الأضرحة والمقابر، ويزور الأماكن التي عاش فيها الأنبياء العظام ويعيش ويتحاور مع خيالاتهم، ويشترك في مجالس الأولياء والأصفياء، فيقتبس منهم نورا لقلبه، أي تكون رحلته هذه رحلة عامرة بالمعاني، ويتسلح روحه ويتطهر وكأنه اغتسل في محراب الجمال والشعر والرومانسية، فيكون مستعدا لجميع الإلهامات والعطايا الواردة من عالم المعاني، ومستعدا بعد ذلك لطرق باب الحق تعالى"[3].

- **ويقول عن الطواف بالكعبة:** " أحيانا تتوسع الحلقة التي نكون فيها يمينا ويسارا، وأماما وخلفا، وتنتشر وتمتد بحيث تضيق الأبعاد والمسافات حتى تكاد تتمزق، حتى ليخيل إلينا وكأننا في طواف باللذة الحقيقية للحياة، فندرك أننا حول مطاف مجهول مع جماعة لا تُعدّ ولا تحصى من الملائكة والروحانيين والجن، فنحس بلذة الوصول إلى الغاية الحقيقية من وراء الخلق، فنشعر أننا بلغنا من اللذة غايتها التي لا غاية وراءها ونعيش هذه المشاعر [4].

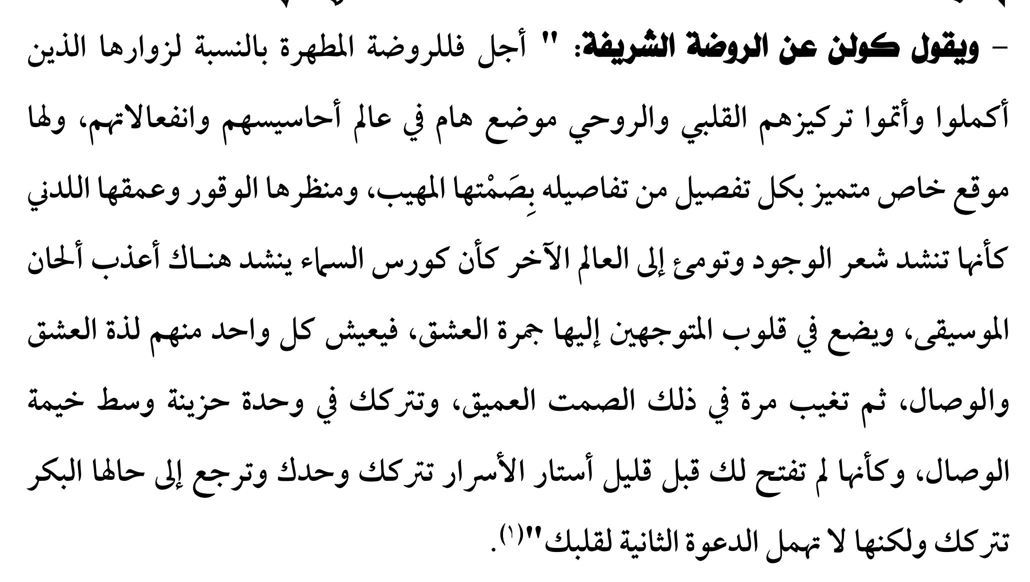
---

(١) محمد رشيد بن علي رضا١٣٥٤هـ، تفسير المنار، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م ٧/ ١٩.

(٢) ينظر: الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الزرقا ١٣٥٧ه، شرح القواعد الفقهية، ط/ دار القلم، ٨٨ .

(٣) كولن ،ترانيم روح وأشجان قلب ٣١.

(٤)كولن ، ترانيم روح وأشجان قلب، ١١٢.



- **ويقول كولن عن الروضة الشريفة**: " أجل فللروضة المطهرة بالنسبة لزوارها الذين أكملوا وأتموا تركيزهم القلبي والروحي موضع هام في عالم أحاسيسهم وانفعالاتهم، ولها موقع خاص متميز بكل تفصيل من تفاصيله بِصَمْتها المهيب، ومنظرها الوقور وعمقها اللدني كأنها تنشد شعر الوجود وتومئ إلى العالم الآخر كأن كورس السماء ينشد هنـاك أعذب ألحان الموسيقى، ويضع في قلوب المتوجهين إليها جمرة العشق، فيعيش كل واحد منهم لذة العشق والوصال، ثم تغيب مرة في ذلك الصمت العميق، وتتركك في وحدة حزينة وسط خيمة الوصال، وكأنها لم تفتح لك قبل قليل أستار الأسرار تتركك وحدك وترجع إلى حالها البكر تتركك ولكنها لا تهمل الدعوة الثانية لقلبك"[1].



- **ويقول عن تراب وأحجار المدينة** " تراب وأحجار المدينة المنورة التي احتضنت النبي ﷺ مقدسة أيضاً فكم من مريض استعمل هذا التراب بنية الشفاء فشفاه الله "[2]

٢ ـ حقيقة الكعبة وارتباطها بالحقيقة المحمدية :ـ

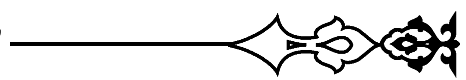
ـ **يقول كولن**: " فإننا بتناول هذه الآية قد نرى تقلب وجهك في السماء... من زاوية تصوفية نرى وجود علاقة وثيقة بين "الحقيقة الأحمدية" وبين "حقيقة الكعبة" وأوجز إيضاح لهذا هو ما قاله بعض المتصوفة بأن حقيقة الرسول محمد – ﷺ – وحقيقة الكعبة توأمان خلقا معا في عالم الاحتمال[3] ".

ـ **ويقول كذلك**: " والحقيقة أن هناك علاقة وثيقة بين الحقيقة الأحمدية وبين حقيقة الكعبة، وكان الرسول – ﷺ – يشعر حسب فطرته التي فطره الله عليها منذ الأزل بهذا، ويود التوجه

(١)المرجع السابق، ١٠٤.

(٢)كولن ، جيلنا وإشكالاته العصرية، ٧٥.

(٣) كولن ، أضواء قرآنية في سماء الوجدان، ٦٧ .





نحو الكعبة ويحن إلى هذا "[1].

ـ **ويقول أيضا**: " فمعلوم أن مكة المكرمة تحيط بسرة الأرض، والكعبة سرة الأرض وقلب الوجود، ويقول بعض الأولياء من أرباب الكشف إن الكعبة والرسول - ﷺ - خلقا معا، وإن حقيقة الكعبة والحقيقة الأحمدية مترافقتان ومتقارنتان، ففي نزول الحقيقة الأحمدية أخطأ بعض الأولياء عندما قالوا إن حقيقة الكعبة متقدمة على الحقيقة الأحمدية، بينما الحقيقة الأحمدية لم تتأخر عن حقيقة الكعبة أبدا، وهاتان الحقيقيتان وجهان لوحدة واحدة "[2] .

ـ **ويقول فتح الله كولن**: " والكعبة بيت التوحيد المرتبط بالملة الإبراهيمية، وبالحقيقة الأحمدية قبل الخلق وفي مرحلة العماء، ورحم للنور المحمدي، وقبلة جميع الأديان السماوية، ومركز للتوحيد بحيث لا يوجد هناك أي بيت أو مبنى يكون نظيرا لها أو مثيلا من هذه الناحية "[3] .

٣ ـ حديثة عن العشق والعشاق :ـ

- يقول فتح الله كولن: "القلب هو أعظم منافذ الإنسان لتلقي التجليات الإلهية وآية ذلك ما يضطرم في هذا القلب من العشق والوجد لله تعالى وما يلتهب فيه من نيران الشوق إليه"[4] .

ـ **ويقول أيضا**: " العشق براق أهداه الله تعالى لنا لنجد الجنة التي فقدناها، ولم يحدث حتى الآن لراكبي هذا البراق أن تاهوا في الطريق، وإن كان من الممكن لراكبي هذا البراق السماوي رؤية الماشين في جانب هذا الطريق من أصحاب الشطحات والسكر، ولكن هذا يرجع

---

(١) المرجع السابق، ٧٠ .

(٢) المرجع السابق، ٦٤ .

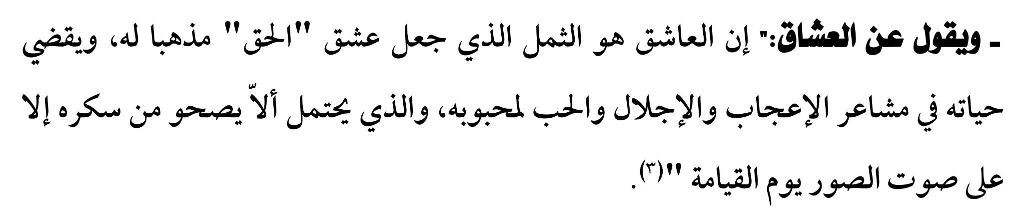
(٣) كولن ، ترانيم روح وأشجان قلب ٦٥-٦٦ .

(٤)كولن ، الموازين ١٣٤ .



تماما إلى معيار العلاقة الموجودة بينهم وبين الله تعالى[1] .

ـ **ويقول كذلك:ـ** " العشق الذي ينسي الإنسان نفسه، ويجعله فانيا في معشوقه.. مثل هـذا العشق لا غرض له ولا منفعة، بل هو عنوان للذوبان في معشوقه والفناء فيما يحبه معشوقه ويرضاه ويريده. وأظن أن هذا هو المطلوب من الإنسان "[2].





ـ **ويقول عن العشاق:**" إن العاشق هو الثمل الذي جعل عشق "الحق" مذهبا له، ويقضي حياته في مشاعر الإعجاب والإجلال والحب لمحبوبه، والذي يحتمل ألاّ يصحو من سكره إلا على صوت الصور يوم القيامة "[3].

ـ **يقول فتح الله كولن:** "وما أن يُقبل الإنسان على المواجهة التي تعد البستان الخاص وحديقة العشاق حتى تثور عنده المشاعر، ويحس بأن قلبه على وشك التوقف، ويتصاعد الانفعال في قسمات الوجوه الطاهرة. والحقيقة أن عدد الذين توفوا هناك بالسكتة القلبية ليس قليلا "[4] .

ـ **يقول فتح الله كولن:** " وكأن العشق والشوق اللذين كانا في غفوة في ركن من أركان القلب حتى تلك اللحظة يستيقظان فجأة، ويفوران ويستوليان على كيان الإنسان، وينقلبان إلى رغبة لا تقاوم في الوصال "[5].

---

(١)المرجع السابق، ١٣٤ .

(٢)المرجع السابق، ١٣٥ .

(٣)المرجع السابق، ١٣٧ , ١٣٦ .

(٤) كولن ، ترانيم روح وأشجان قلب، ١٠٢ .

(٥) المرجع السابق، ١٣٥ .

المبحث الثاني : مفهوم التصوف لدى كولن :

إن التصوف تجربة روحية خاصة وليس شيئا مشتركا بين جميع الناس، ولكل صوفي طريقته في التعبير عن حالاته، فإن كانت التجربة الصوفية واحدة في حقيقتها، إلا أن تفسير هذه التجربة خاص بكل صوفي على حده، ومن هنا فقد كثرت وتعددت تعريفات التصوف .

أ: ـ المفهوم اللغوي للتصوف: ـ

كان اشتقاق لفظ ال" التصوف " موضع خلاف بين العلماء قديما وحديثا، ويمكن حصر الاختلاف في اشتقاق التصوف في ثلاثة أوجه : ـ

الأول: ـ نسبة التصوف إلى " صوفه " وهو اسم رجل كان قد انفرد بخدمة الكعبة واسمه " الغوث بن مرة "، وهذا الرأي لابن الجوزي ٥٩٧هـ .[١] ونسبة التصوف إلى ما قبل الإسلام رأي ضعيف.[٢] .

الثاني: ـ وهو نسبة التصوف إلى "سوفيا" اليونانية، وقد ذهب إليه أبو الريحان البيروني ٤٤٠هـ[٣]، والحقيقة أن هناك تبايناً بين كلمة " سوفيا " وبين مقصد وحال أهل التصوف الإسلامي"[٤]

الثالث: ـ يرى أصحابه نسبة التصوف إلى لبس الصوف، وهذا مما انعقد عليه إجماع المختصين

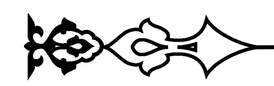
---

(١) جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي: تلبيس إبليس، ط/ دار القلم بيروت لبنان، ط/ أولى ١٤٠٣ هـ، ١٥٦.

(٢) د / عرفان عبد الحميد فتاح، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، ط/ دار الجيل بيروت، الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ١١٩.

(٣) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة، طبعة حيدر آباد ــ الدكن ١٩٥٨ م، ٢٤ ــ ٢٥ .

(٤) د / عرفان عبد الحميد فتاح، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، ١٢٣ .



في الدراسات الصوفية كالسراج ٣٧٨ه- [١]،والكلاباذي٣٨٠ه-[٢]، والسهروردي٦٣٢ه-[٣]، والقشيرى٤٦٥ ه- [٤]وآخرون

وإلى جانب هذه الأراء الثلاثة فقد ذُكرت وجوه أخرى من الأشتقاق أبرزها: أن التصوف مشتق من الصفاء، وقد أكد هذا المعنى كبار الصوفية،" كبشر الحافي ٢٢٧ه- وأبو سعيد الخراز ٢٦٨هـ والجنيد بن محمد ت٢٩٧هـ، ومع كثرت تعريفات التصوف بالصفاء بحيث " نجد في مقابل كل تعريف ينسب الصوفية إلى لبس الصوف اثني عشر تعريفاً يشير إلى اشتقاق كلمة الصوفي من الصفاء "[٥] إلا أنه مستبعد لبعده عن مقتضى اللغة فالنسبة إلى الصفاء: صفيّ.

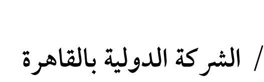
لم يختلف رأي الأستاذ كولن في المعني الاشتقاقي للتصوف عما جاء عن السابقين، فقد رجح اشتقاق التصوف من الصوف، فيقول:" الصوفي: يعني سالك طريق الحقيقة الأحمدية، يلبس ثياب الصوف الذي هو مظهر المحوية وآية التواضع وسكينة القلب، محب للمحبة، لا يجافيها ولا يجافى أهلها، لا يبالي بوجه الدنيا المتوجه إليها ولا بوجهها المتوجه إلى أهوائنا، ولبس الصوف دأب الأنبياء وتابيعيهم وزي من أوقف نفسه للعبادة، فلئن كان

(١) أبو نصر السراج الطوسي، اللمع، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، وأخر، ط/ دار الكتب الحديثة مصر، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م، ٤١.

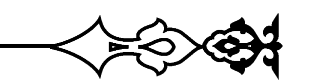
(٢) محمد بن إسحاق الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، نشر أرثرجون أربري، ط/ مكتبة الخانجي، ط/ الثانية ١٤١٥هـ، ٥.

(٣) السهروردي، عوارف المعارف، تحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السايح، م توفيق على وهبة، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ط/ الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ١/ ٧٠.

(٤) عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، ٤٦٤.



(٥) يراجع: د/ ر. ا. نيكلسون الصوفية في الإسلام ترجمة نور الدين شريبه، ط/ الشركة الدولية بالقاهرة ط/ الثانية ٢٠٠٢م، ٢٨.



الصوف لبس الأنبياء وحوارييهم حقا، فكلمة " الصوفي" مشتقة من الصوف[1].

ونلحظ هنا قوة عبارات كولن واستخدامه لمصطلحات تدعوا إلى التأمل والتفكر، كمصطلح " الحقيقة الأحمدية " و" مظهر المحوية " لعل ذلك من تأثير تذوق التصوف عنده.

ب ـ المفهوم الاصطلاحي للتصوف عند كولن.

حاول نيكلسون الوقوف على التطور التاريخي للتصوف الإسلامي من خلال جمع تعريفاته فلم يتم له ذلك، وقال:" التعاريف المتعددة للصوفية التي وردت في الكتب العربية والفارسية، وإن كانت ذات فائدة تاريخية، فإن أهميتها الرئيسية في أنها تعرض الصوفية على أنها غير ممكن تحديدها "[2]، وقد عبر كثير من المحققين من الصوفية عن صعوبة وضع مفهوم جامع لما يشعر به الصوفية "[3]

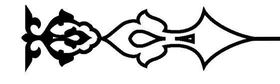
لكن ومع هذه الصعوبة يمكن التعرض لبعض التعريفات بقصد الوقوف على ترجيحات الأستاذ كولن، وقد جمع ابن خلدون١٤٠٦م بعضها، فقال" فمنهم من عبر عنه بأحوال البداية، قال الجريري:" التصوف الدخول في كل خلق سني، والخروج من خلق دني، ومنهم من عبر بأحوال النهاية، قال الجنيد:" هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به، ومن من عبر بعلامته، قال البغدادي:" علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى، ويذل بعد العز، ويخفى بعد الشهرة، ومنهم من عبر بأصوله ومبانيه، قال رويم:" التصوف مبني على ثلاث

---

(١)محمد فتح الله كولن التلال الزمردية، ٢٤ ــ ٢٥.

(٢) د/ ر . ا . نيكلسون الصوفية في الإسلام ٣٤ .

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، ١٠٥، عوارف المعارف ، ص٥٤ عبد الرحمن ابن خلدون ، شفاء السائل وتهذيب المسائل تحقيق د/ محمد مطيع الحافظ، ط/ دار الفكر المعاصر بيروت ــ لبنان ط/ الاولى ١٤١٧ هـ٩٣ ـ ٩٤ .



خصال: التمسك بالفقر والافتقار إلى الله، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار، قال الكتاني١٣٨٢هـ:" التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق، زاد في التصوف"(١)



أما الأستاذ كولن فيقف على تعريف التصوف من حيث الغاية، ويجعلها الوقوف على معرفة الله تعالى، والوسيلة المختارة لذلك تكمن في تصفية القلب بقهر الشهوات ومغالبة الهوى، والانسلاخ من الصفات البشرية، والتحلي بالأخلاق الملائكية، فيقول:" إن التصوف هو الانسلاخ من الصفات البشرية - في معيار - والتدثر بالأوصاف المَلكية والأخلاق الإلهية، والعيش في مدار معرفة الله ومحبته تعالى والتذوق الروحاني.

ويزيد الأمر وضوحاً فيقول: " التصوف طريق مفتوح إلى معرفة الربانية وعمل دائب جاد، لا محل فيه للهزل واللامبالاة واللهو والعبث، وكيف يكون ذلك، فأساسه يستند إلى تشرب شهد المعرفة الإلهية وانتقاشها في القلب، كالنحل غاديا ورائحاً بين الخلية والزهرة، وتطهير القلب من الاغيار، وفطام النفس عن ميولها الجبلية، وإخماد الصفات البشرية بالانغلاق التام تجاه الرغبات البدنية والجسمانية، والبقاء دوما متفتحا أما الروحانيات وإمضاء عمره على خطى سيد الانام والتخلي عن مراداته لأجل مرادات الحق سبحانه، واستشعاره بحضوره تعالى لمعرفته أن الانتساب إلى الحق سبحانه أعظم رتبة "(٢)

وفي موطن أخر يُعرف الأستاذ كولن التصوف تعريف صاحب تجربة روحية مميزة، فيقول:" التصوف هو طريق الوجدان الإنساني في فهم حقائق الإسلام والإحساس بها، .. هو عنوان إدراك الإنسان لعجزه وفقره وضآلته، والذوبان أمام نور "الحق" وأمام تجليات صفاته التي تشكل أساس الوجود كله والفناء تجاهها، .. هو عملية تصفية روح الإنسان

(١) المرجع السابق، ٩٣ ، وراجع هذه التعاريف في: التعرف : ١٠٨ وما بعدها، والرسالة القشيرية، ١٢٦ .

(٢) محمد فتح الله كولن، التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، ١٣،١٤ .

وتطهره وتوحده مع ذاته، وتجاوز الزمان والمكان والوصول إلى أبعاد مجهولة "(١)

لذا يقول د / سليمان العشرتي " ومن شأن الزاد الصوفي -ـ ضمن حدود الرافد الأول لفكر الأستاذ كولن - أن يرقى في الروح قدرة استشراف آفاق الماوراء التي كرستها النصوص المقدسة؛ إذ إن التمرس بنهج التصوف تمرسُ بالمعرفة فوق العقلية، فلكأن حقل التصوف يشكل المضمار الوجداني الأمثل لتقمص مبادئ التوحيد وأبعادها الغيبية، ذلك ان التصوف -ـ في تعريف أصحابه - هو سلوك التجرد والترقي الروحي، وصولا إلى الصفاء والكمال، وإذن فإن التصوف موصول في جوهره بروح الإيمان، إذ ركيزة الإيمان هي التوحيد والإقرار للخالق بالقدرة والمطلقية "(٢)

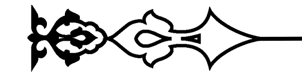


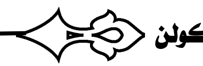
وحديث كولن عن التصوف يشعرنا أننا أمام محقق صوفي ذاق التصوف وعرفه، وسلك دروبه وطرقه، وعاش أحواله ومقاماته، فهو حديث الخبير بهذا الفن، وقد جاء حديثه خال عن وصف حال أحد الصوفية، ولا شارحا لمقام يتذوقه أحدهم، إنما هو تعبير عن تجربة روحية عالية، إنه وصف لا يصدر عن مجرد باحث نظرى تعرض لهذا الفن، لذا يلح سؤلا في الافق وهو:ـ هل ما جاء عن كولن في تعريف التصوف هو مجرد تأثر بالصوفية وأحوالهم، أم أن التصوف عنده تجربة ذاقها وعبر عنها ؟ ولعل الصفحات القادمة من هذا البحث تجيب عن هذا السؤال.

---

(١) محمد فتح الله كولن، الموازين أو أضواء على الطريق، ترجمة أورخان محمد على، ط/ دار النيل للطباعة والنشر، ط/ التاسعة ٢٠١٣م ، ١٢٢.

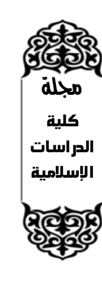
(٢) الانبعاث الحضاري في فكر كولن، ٣٦ ، ٣٧ .





المبحث الثالث

مكانة التصوف والصوفية عند كولن.



يتحدث الأستاذ كولن عن **مكانة التصوف** في الإسلام، فيؤكد أنه لا يمكن تصور الإسلام بدونه، فبه نصل إلى الحقيقة الإلهية، كما أنه الطريق الوحيد أمام مرور الفرد من الباب الذي فتحه المعراج النبوي، فالوصول إلى فيض الكمال الإلهي اللامتناهي لا يكون إلا بالقلب الصوفي.

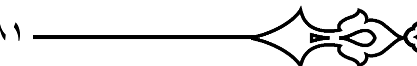
يقول الأستاذ كولن:" التصوف روح الإسلام، ولا يمكن تصور الإسلام بدونه، فالتصوف عبارة عن تنور قلب الإنسان بفيض الكمال الإلهي اللامتناهي عن طريق الذكر والفكر، تكون بدايته بوضع خطوط فرضية لللانهاية بعد اتخاذ نفس الإنسان مقياسا لها، أما نهايته فهو التخلي عن أسرار النفس وفهم وإدراك كل شيء منه " هو" ، إن التصوف هو الطريق الوحيد أمام كل فرد لكي يمر من الباب الذي فتحه المعراج النبوي ويصل إلى ربه أي هو نوع من المعراج يتناسب مع قابلية الفرد واستعداده .[1]

إن ضرورة التصوف عند الأستاذ كولن تكمن في أنه يمثل الجانب العملي الوجداني في حياة الإنسان:" فغاية التصوف، هي ربط القلب بالحق، وكي الصدر بنار العشق والمحبة،... فالتصوف وعلوم الحقيقة، زاد في طريق الوصول للسالكين، وذخيرتهم ونورهم ودليلهم، وثكنات التصوف أروقة انتظار وموانئ مفتوحة للإبحار إلى الخلود، ومدارس تؤدي مهمة التعليم والتربية لهذا السفر الطويل"[2]

فالتصوفِ عند الأستاذ كولن مصدراً من مصادر تلقي المسائل الدينية؛ يؤكد ذلك

(١) المصدر السابق، ١٢٢/ ١٢٣.

(٢) كولن، التلال الزمردية، ٢٧/ ٢١٦ .



قائلا:" إن التصوف مصدر مهم للمعرفة والثقافة في مساحة واسعة تمتد من الحياة الروحية إلى الأخلاق وآداب المعاشرة "(١).

أما الصوفية: فيتحدث الأستاذ كولن عنهم حديث الخبير بأحوالهم، المتذوق لمقاماتهم، الناطق بلسانهم، فيقسمهم " إلى مجموعتين رئيسيتين: الأولى: هم المنطلقون في مدار العلم بحثا عن الوصال بأجنحة المعرفة، وهم يحلّقون في الذرى،...فيقضون حياتهم بأجنحة العلم والمعرفة في سفر لا نهاية له، في آفاق " السير إلى الله " و" السير في الله " و" السير عن الله "، فكل ما يشاهدونه من تبدل وتغير وتكون في الوجود، يقدِّم لهم مئات من الرسائل من حضرة القدرة والإرادة الإلهيتين، وكل حادثة تهمس لهم بنغمات مختلفة بألسنة متباينة.



والأخرى: السالكون لتحري الذوق والوجد والكشف فحسب، فهم الباحثون عن الكشف والكرامة والذوق والوجد والتواجد، لذا يمكن أن يعيشوا "البعد" في إقليم " القُرب" لذهولهم أحيانا عن الهدف، رغم أنهم جادون في سيرهم وسلوكهم وزهدهم "(٢)

ويمدح الأستاذ كولن الصوفية على مدار كتبه، فينسب لهم إعادة القلوب بعد التيه، وإنارة الدنيا بعد ظلامها "(٣)، كما يتمثل بأدعيتهم"(٤)، ويقول عنهم: إنهم " ظل ظل وجود الله " فخَلد الله تعالى ذكرهم؛ فلا يزالون يحيون في داخلنا، إنهم يعيشون في داخلنا حتى أنه

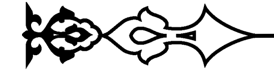
---

(١) محمد فتح الله كولن، ونحن نبني حضارتنا، ترجمة عوني عمر لطفي أغلو، ط/ دار النيل، الثانية، ١٤٣٣ه، ٩٤.

(٢) كولن، التلال الزمردية، ٢٨- ٣١.

(٣) محمد فتح الله كولن، سلسة أسئلة العصر المحيرة ٢، نحو عقيدة صحيحة، ترجمة أورخان محمد على، عبد الله محمد عنتر، ط/ دار النيل، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، ١٦٦.

(٤) انظر : محمد فتح الله كولن، النور الخالد، محمد ـ ﷺ ـ مفخرة الإنسانية، ط/ دار النيل، الأولى ١٤٢٨ه، ٣٣٢.





يخيل إليّ وأنا أدخل غرفتي أحيانا أنني سألتقي أبا الحسن الشاذلي ١٢٨٥م أو عبد القادر الجيلاني ١١٦٦م مثلا؛ إنهم حاضرون في ذاكرتي ومخيلتي[١].

وقد خص كولن بعض أعلام التصوف بالمدح والثناء، فيقول عن جلال الدين الرومي ١٣٧٣م إنه " كان م-ن العمالق-ة الذين فت-حوا قلوبهم على الع-الم اللانهائي، وسَبَحُوا بفكرهم في عالم الملكوت، لق-د كان ممث-لاً للعشق والوج-د الإلهي، أنموذجا للإخلاص والت-فاني، ومن أكبر المكتشفين لطرق الوصول إلى الحقيقة المطلقة "[٢].



وكذا محي الدين ابن عربي ٦٢٨ه الذي يصفه بأنه من أهل الكرامات، وقُطْبُ[٣] أحدِ المشارب ومن عظماء الأولياء المطلعون على الغيب؛" فقد توجه إلى الله بكل كيانه، وصار كالملائكة في ماهيته، فوهبه الله لطافة الأرواح والروحانيين، فنفذ بهذا اللطف إلى حقيقة الأشياء[٤].

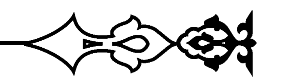
وغير الرومي وابن عربي تحدث كولن عن الحسين بن منصور الحلاج ٩٢٢م وأحمد الفاروقي السرهندي ١٥٦٤م، ومحمد بهاء الدين النقشبندي ١٣١٨م وخالد البغدادي ١٨٢٧م وحضرة بديع الزمان ١٩٦٠م وغيرهم كثير مما وصفهم بعظماء الأولياء، والعمالقة،

(١) محمد فتح الله كولن، إشراقات الأمل في دياجي الحزن والأسى، ترجمة عبد الرازق أحمد، عبد الله محمد عنتر، ط/ دار النيل، الأولى، بدون تاريخ، ٢٤٦ .

(٢)كولن، النور الخالد، ٣٤٠.

(٣)القطب: هو من ملك الطلسم الذي يشرح الكون، ومن خصائصه أنه اكتشف الذات الإلهية وله علم بصفات الله ولا حدود لعلمه وهو أكمل المسلمين ولا حدود لمرتبته ويمكنه الانتقال حيث شاء، ومن وظائفه التصرف والتأثير في الكون " راجع د: عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، دار السيرة ١٤٠٠ه- ١٩٨٠م، بيروت، بدون رقم الطبعة، ٢١٧.

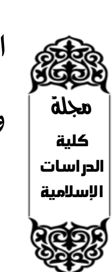
(٤) كولن، نحو عقيدة صحيحة ١١٢ .





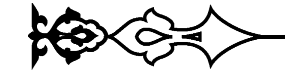
وقد وجه كلامهم ودافع عنهم[1] .

وعندما سئل عن الأوراد التي تقرأ أوصي أتباعة بقراءة الأوراد" التي كان يقرؤها الشيخ الشاذلي١٢٥٨م أو أوراد الشيخ الجيلاني١١٦٦م أو أحمد الرفاعي ٥٧٨هـ أو أحمد البدوي٦٧٥هـ قدس الله أسرارهم فعندما يقرأ الإنسان أوراد هؤلاء السادة العظام يحس وكأنهم في جانبهم وبالقرب منه "[2].



(١)محمد فتح الله كولن، عقبات في سبيل الحق، ترجمة عبد الرازق أحمد، ط، دار النيل، الأولى، ٢٠١٦م، ٦٠.

(٢)كولن، جيلنا وإشكالاته العصرية، ١٤٢.







الفصل الثاني

مقامات ونظريات التصوف عند كولن

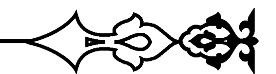
ويشتمل على ثلاثة مباحث :ـ

□المبحث الأول : موقف كولن من مصادر التلقي عند الصوفية.

□المبحث الثاني : أحوال ومقامات التصوف عند كولن .

المبحث الأول : موقف كولن من بعض نظريات التصوف الفلسفي.

□







المبحث الأول

موقف كولن من مصادر التلقي عند الصوفية .

من أعظم القضايا المؤثرة في البناء الفكري لكل طائفة من طوائف الأمة؛ قضية مصادر تلقي مسائل الدين، وهذا من أعظم ما خالف به كثير من الصوفية غيرهم من طوائف المسلمين، فمع اعتماد مصادر أهل السنة في التلقي وهي: " الكتاب والسنة والإجماع والفطرة والعقل " زاد هؤلاء مصادر أخرى؛ كالكشف والذوق والإلهام والعلم اللدني كأساس للمعرفة، ومما وافق فيه كولن الصوفية ما يلي: ـ

أولاً: الكشف وحقيقتة عند الأستاذ كولن :

يرى الصوفية أن الكشف يشكل نوعا من الاطلاع على ما وراء الحجب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا[(١)]، يقول السراج: "الكشف: ما يستتر على الفهم، فيُكشف عنه للعبد كأنه رأي العين"[(٢)]. ويقول الغزالي٥٠٥هـ: " وكذلك قد تهب رياح الألطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ، ويكون ذلك تارة عند المنام، فيعلم به ما يكون في المستقبل، وينكشف أيضا في اليقظة؛ حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى، فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب"[(٣)] فالكشف الصوفي إذن يعني كشف الحجب والاطلاع على الأمور الغيبية.

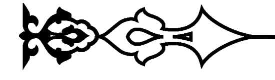
ومن هذا نفهم أنّ الصوفي في وِسْعِه أنَ يصل بالرياضات الجسدية والمجاهدات

---

(١)على محمد السيد الشريف الجرجاني ٨١٦هـ، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، بدون ذكر تاريخ الطبعة ومكانها، ١٥٤، د: عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ٢٢٥.

(٢)السراج الطوسي، اللمع في التصوف، ٢٤٩ .

(٣) أبو حامد محمد الغزالي ٥٠٥هـ، إحياء علوم الدين، ط/ دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط/ الأولى، ٢٠٠٥م، ٨٩٥.



النفسية إلى درجة ينكشف له فيها من الحقائق والعلوم - الغيبية- من غير واسطة نبي أو وحي ما لا ينكشف لغيره، مما يعني اعتبارَ مفهومِ الكشفِ لدى الصوفية مصدراً مهماً م-ن المص- ادر المعتم-ـدة لتـلقي العلوم الشرعية .

وقد اعتبر الإمام الغزالي علوم المكاشفة موصلة إلى اليقين، وهذا هو السبب في ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية، دون التعليمية، وعلل ذلك " بأن الله تعالى إذا تولى أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب، وأنشرح الصدر، وانكشف له سر الملكوت، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة، وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية "[1]

ونزوع الأستاذ كولن نحو التصوف وأهله كان هو الغالب على حاله ومقاله دائماً، فجنوحه نحو المفاهيم الصوفية وتعبيره بالمصطلحات الصوفية، وتقديره واحترامه لرموز الصوفية، بل ودفاعه عن ما جاء عنهم جملة يجعلنا نصنّفه على أنه صوفي الحال والمقال .

ويتجلى ذلك في حديثه عن بعض الأمور التي يمكن لأهل التصوف بها استشراف المستقبل عن طريق الكشف قائلا: "إنّ الذين استطاعوا الخلاص من سجن الجسم ووصلوا إلى مرتبة حياة القلب والروح يستطيعون عيش الماضي والحاضر والمستقبل معا في الوقت نفسه.

فالعبادات والطاعات وسيلة للوصول إلى كشف علم الغيب، يقول كولن:" والحقيقة أنه في أثناء الوضوء وفي ختامه يُسَنُّ الشرب من ماء الوضوء، وقراءةُ بعضِ الأدعية وهذا كله يدفعه إلى عالم ما وراء الطبيعة "[2].

كما إن المجاهدة والخلوة هي الأخرى تؤدي إلى كشف الغيبيات:" فالتخلق بالأخلاق الإلهية اللاهوتية ... تتكشّف الحجبُ وتنـزاح الأستار بطريق مجاهدة النفس والخلوة والذكر

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢)كولن، النور الخالد ٢٢٠/ ٨٧ و٨٨ .

والمراقبة فيغدو الإيمان الإجمالي مرة أخرى بالاطلاع على ما وراء الوجود- معززا بالذوق والكشف كيقين شهودي"[1].

ويؤكد الأستاذ كولن على فهمه للكشف بمعناه الصوفي فيقول عن ابن عربي:"عَرف بعـض الحقائق كشفاً، وأخبر بغيبيات ألهمـه الله بهـا، ... له تأويلات ظاهرية وباطنية كثيرة، انكشفت له بفضل الله - ﷻ - أمورٌ من الماضي والمستقبل كأنها صفحات كتاب بين يديه وذكره للحوادث"[2].



فابن عربي وصل بطريق الكشف إلى معرفة بعـض الحقـائق، وأخبر بأمور غيبية، وانكشفت له أمور كثيرة من الماضي والمستقبل، كما يصرح الأستاذ كولن على أن الكشف من مصادر التلقي فيقول:" وحَسَبَ بيانِ أحد المتقين بطريق الكشف لا بطريق الرواية"[3]

ثانيا: حقيقة الذوق عند الأستاذ كولن:

يطلق الذوق لدى الصوفية ويراد به " نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره ... وأهل الذوق من تكون أحكام تجلياتهم نازلة من مقام أرواحهم وقلوبهم إلى مقام نفوسهم وقواهم، كأنهم يجدون حسا ويدركون ذوقا، ويلوح ذلك من وجوههم"[4].

يقول القشيري ٤٥٦هـ: " الذوق: هو أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلي البرقي ، فإذا زاد وبلغ أوسط مقام الشهود سمي شرباً ، فإذا بلغ النهاية سمي رياً ، وذلك بحسب صفاء السر عن لحظ الغير" ونقل عن كمال الدين

(١)كولن، التلال الزمردية ٢٤.

(٢)كولن، نحو عقيدة صحيحة ١٠٩.

(٣) كولن، أضواء قرآنية في سماء الوجدان، ١٦٩ .

(٤)الجرجاني، التعريفات، ١٤٤.



القاشاني ٧٣٠هـ نفس التعريف[١] .

ويعرفه ابن عربي ١٢٤٠م قائلا:" إن الذوق، أول مبادئ التجلي، وهو حال يفجأ العبد في قلبه " [٢]



ومن رحم هذه المعاني الصوفية للذوق جاء فهم كولن له، فأخى بينه وبين الكشف وجعلهما طريقاً من طرق تلقي المعارف الإيمانية، ويُوقف عليهما بيان مدى صدق الرسول - ﷺ - وبيان القرآن والسنة فيقول:" الأرواح السامية والواصلة رأت من تجاربها أنها كلما غذت السير نحو الأعالي كلما تبين لها مدى صدق بيان القرآن وبيان الرسول - ﷺ - ومدى مطابقتهما للحق وللحقيق-ة، ويصلون إلى ه-ذا عن طريق الكشف والذوق "[٣].

ويتمادى كولن في بيان حقيقة الذوق مؤكدا على تصوفه، فيقرر أنّ بالذوق والكشف ينتقل الإنسان من عالم الشهادة إلى الاطلاع على عالم الغيب، فيقول:" فيغدو الإيمان الإجمالي مرة أخرى بالاطلاع على ما وراء الوجود مُعزَّزا بالذوق والكشف كيقين شهودي "[٤].

وجَعل كولن تصديق النبي - ﷺ - فيما جاء به متوقفاً على الذوق والكشف، وعلى التصديق عليه من قبل أهل الاختصاص من الصوفية بجانب ما عليه أهل السنة في المسألة، فدلالة صدق الرسول كثيرة منها المعجزات والعلم الضروري الفطري، وسيرته - ﷺ - قبل البعثة وغير ذلك من الأدلة المقررة عند أهل السنة.

---

(١) القشيري، الرسالة القشيرية ، ١٥٥.

(٢) محي الدين محمد بن على المعروف بابن عربي، الفتوحات المكية، ط/ دار الكتب العربية الكبرى بمصر، بدون تاريخ، ٢/ ٥٤٨

(٣)محمد فتح الله كولن، النور الخالد ومفخرة الإنسانية، ٨٥ .

(٤)محمد فتح الله كولن، التلال الزمردية، ٢٤ .

ثالثاً : الإلهام وحجيته عند كولن :

يطلق الإلهام عند الصوفية ويراد به:" إيقاع شيء في القلب يثلج له الصدر، ويطمئن، ويسكن، من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة، يخص به الله ـ تعالى ـ بعض اصفيائه "[1] وبعبارة أخرى هو: إلقاء المعنى في القلب بطريق الفيض، أي بلا اكتساب واستفاضة، وهو أخص من الإعلام، إذ الإعلام قد يكون بطريق الاستعلام، فتقييده بطريق الفيض للاحتراز عن الحدس والكسب"[2] ، ويراد به أيضا " الاطلاع على الأسرار الغيبية بعين البصيرة في عالم المثال بلا شك وشبهة اطلاعا غيبيا "[3]



والإلهام حجة عند الصوفية، يقول أبو المواهب الشاذلي ٥٧١هـ – رداً على من أنكر قول القائل: حدثني قلبي عن ربي " لا إنكار؛ لأن المراد أخبرني ربي من طريق الإلهام الذي هو وحي الأولياء "[4]

وكولن يسير على خطى الصوفية في بيان حقيقة الإلهام، فيذكر أن " محيي الدين بن عربي١٢٤٠م يتكلم عن أمور، معتمداً على إلهامات ونفحات ربانية، فهو لا قبل له بها؛ إذ لا يتأتى لإنسان من عظم ولحم أن يتحدث عن مثل هذه الأمور؛ لقد توجه إلى الله بكل كيانه، .. فنفذ بهذا اللطف إلى حقيقة الأشياء، بل إلى شيء مما كان ومما سيكون، فتكلم عن حوادثَ غائبةٍ كانت، وعن وقائعَ مجهولةٍ ستكون "[5].

---

(١) الجرجاني التعريفات، ٣٤.

(٢) عبد المنعم حفني، معجم مصطلحات الصوفية، ص ٣١ .

(٣) عبد الرازق الكاشاني٧٣٠ هـ، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق د/ عبد العال شاهين، ط/ دار المنار القاهرة، ط/ الأولى١٤١٣هـ، ١٦٢ ، ٢٩٨.

(٤) عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الشعراني، تحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السايح، والمستشار توفيق على وهبة، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ط / الأولى/ ٢٠٠٥م، ٢/ ١٣٨ .

(٥) كولن، نحو عقيدة صحيحة، ١١٢.



والإلهام عند كولن مصدر من مصادر تلقي مسائل الدين بما في ذلك علوم الغيب، يؤكد ذلك قائلا: "وهناك أولياءُ مثل محيي الدين ابن عربي ومولانا جلال الدين الرومي ومشتاق أفندي ومئاتٍ غيرِهم أخبروا عن الغيب ثم صدقت الأيامُ كلامَهم"(١)، فالإلهامات التي ترد على قلوب الأولياء حق، وإنها تكشف الأمور الغيبية .

ويتحدث الأستاذ كولن عن ماهية هذا الإلهام، وكيف يحدث ويضرب لذلك مثلاً من الواقع بالتلغراف فيقول: "يَرد الإلهام إلى قلب الولي، فيُهمَس في قلبه شيء، وهذا طرز آخر من الكلام مثلما هو في" لغة مورس التلغراف" حيث يستطيع الموظَّفُ المختصُ تحليلَ ما يبثه هذا الجهاز من شفرات وإشارات، وقد تلقى بعضُ الأمور في قلب الوليّ، وهو بدوره يستخرج منها معانيَ شتى."(٢).

فما يتلاقاه قلب الولي من إلهام إلهي عبارة عن إشارات وإيماءات وطلاسم يقوم الولي بعدها باستخراج المعاني والحقائق من هذه الإشارات، والأولياء بذلك عند الأستاذ كولن بمنزلة الأنبياء .

ومن هنا يؤكد كولن على أن الإلهام الغيبي الذي للأولياء هو قسيم للوحي الذي هو للأنبياء في معرفة مسائل الغيب المستعصية على العقل قائلا:" إنّ العقول لها حدود لا تستطيع تجاوزها، إذ يستحيل معرفةُ هذه المسائل دون الاستعانة بالوحي أو الإلهام الغيبي. "(٣).

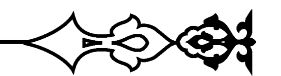
ويقول الاستاذ كولن:" مكاشفـات العارفين بالله وإخبارهم بأمور موجهة لنا .. إلهامات ترد إلى قلوبهم مستمدة من مشكاة النبوة مباشرة؛ فيطلعون على حقائق، ثم يبينونها

---

(١) كولن، النور الخالد ... مفخرة الإنسانية، ٣٧٠.

(٢) كولن، القدر في ضوء الكتاب والسنة، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط/ دار النيل، الخامسة، ١٤٣١هـ، ١١٢, ١١٣.

(٣) كولن ، النور الخالد ... مفخرة الإنسانية ٩٦ .

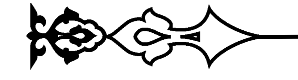


للناس بلغة خاصة ورجال الحقيقة الذين تنكشف لهم هذه الحقائق صلتهم بالله تعالى وثيقة وهم براء من الظهور والادعاء يُجري الله تعالى على أيديهم آلاف الكرامات؛ ويبثون آلاف الرسائل الخفية لكنهم لا ينزلقون إلى الادعاء مطلقا"[1].

مما سبق يتضح أن كولن اعتمد طريق الكشف والذوق والإلهام للحصول على معارفَ إلهية، والوصول إلى ما وراء الطبيعة، بل والاطلاع على بعض الغيبيات، وفي هذا نظر، فالاطلاع على الغيب ليس إلا لله تعالى، وهذه قضية محسومة بالقرآن والسنة، والحقيقة أن الله تعالى لو أراد إعطاء علم الغيب لأحد من البشر لأعطاه لصفوة خلقه وهم رسله – عليهم السلام –، وقد نفى رسل الله – عليهم السلام – علمهم بالغيب كما حكاه الله عز وجل في كتابه العزيز، فسيدنا نوح – عليه السلام – نفى علمه للغيب، قال الله – تعالى – على لسانه :{ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ} هود: ٣١ ، وقال تعالى حكاية عن النبي – ﷺ – : { قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} الأعراف : ١٨٨، ومع هذا أطلع الله بعض رسله على بعض الغيبيات مما يؤكد صحة رسالتهم وحقيقة نبوتهم، لكن لم يطلعهم على كل الغيب ولا أكثره بل شيئاً يسيراً منه.

فلا يعلم الغيب إلا الله تعالى لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا غيرهم ممن بلغ درجة القرب والشهادة والولاية إلا بالقدر الذي بينه الله تعالى في قوله ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ الجن: ٢٦ – ٢٧، يقول الدهلوي:" شأن الاطلاع على الغيب فيما يختص بالله تعالى فهو يملكه ويتصرف فيه كما يشاء، وهي صفته الدائمة، ولم يجعل لولي أو نبي، أو جني أو ملك، أو شيخ أو شهيد، أو إمام، أو سليل إمام، ولا لعفريت

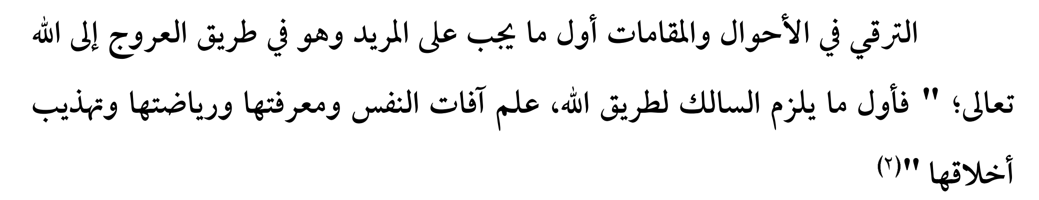
(١) كولن، نحو عقيدة صحيحة، ١١٠.



ولا لجنية أن يطلعوا على الغيب متى شاءوا، إنّ اللهَّ قد يُطْلِع من يشاء على ما يشاء متى يشاء، لا يجاوز علمه ما أراد اللهَّ اطلاعه عليه مثقال ذرة، وكان ذلك خاضعا لإرادة اللهَّ تعالى، لا لهواهم"(١).

المبحث الثاني
أحوال ومقامات التصوف عند كولن:

مجلة كلية الدراسات الإسلامية



الترقي في الأحوال والمقامات أول ما يجب على المريد وهو في طريق العروج إلى الله تعالى؛ " فأول ما يلزم السالك لطريق الله، علم آفات النفس ومعرفتها ورياضتها وتهذيب أخلاقها "(٢)

والكلام في الأحوال والمقامات" والنفس وعللها والسلوك وآدابه ومراحله، حظ مشترك بين صوفية القرنين الثالث والرابع جميعا، وكتب طبقاتهم حافلة بالشيء الكثير من أقوالهم في ذلك "(٣)

ولعل أول من تكلم في هذه الناحية بشيء من التعمق، الحارث ابن أسد المحاسبي ٢٤٣هـ، ومن الصوفية الذين غلب عليهم الكلام في الأحوال والمقامات؛ السرى السقطي ٢٥٧هـ " فهو أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال ، ومن المعنين أيضا بالكلام في أحوال ومقامات الصوفية، أبو سعيد الخراز ٢٧٩ه- وسهل التسترى ٢٩٣هـ "(٤)

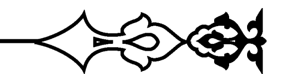
---

(١)إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، رسالة التوحيد، نشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط/ الأولى، ١٤١٧هـ، ٦٥.

(٢) الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ٨٧.

(٣) د. أبو الوفاء التفتازاني، مدخل إلى التصوف، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، الثالثة بدون تاريخ، ١٠٤ .

(٤) محمد بن الحسن النيسابوري السلمي٤١٢ هـ طبقات الصوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى ١٤١٩هـ، ٤٨، وما بعدها



وقد جمع القشيري٤٦٥هـ في رسالته أحوال ومقامات الصوفية، فالمقامات كالتوبة والصبر والرضا واليقين والمحبة والتوكل وما إليها، والأحوال كالقبض والبسط والفناء والبقاء والهيبة والانس وما إليها، وهذه كلها فضائل وأحوال نفسية وأخلاقية تأتي ثمرة مجاهدة النفس، ويترقى فيها السالك للطريق حتى يصل إلى مقام التوحيد، أو المعرفة بالله، وهو آخر مقامات الطريق " [١]



وقد امتثل الأستاذ كولن خطى من سبقه من الصوفية؛ فتحدث عن الأحوال والمقامات في كتبه لا سيما كتاب التلال الزمردية وبيَّن أهميتها لسالك الطريق الرباني وأكد على:" أنها بمثابة إشارات بلورية لماعة للسير والسلوك الروحاني، وتتضمن المعنى الإجمالي لروح الدروشة التنسك ، وتعد أساسا لكتب الأخلاق والأدب والزهد، بل عدت نقطة التقاء القلوب – بمعنى من المعاني –ـ بالحقيقة الأحمدية " [٢]

يُعرف الأستاذ كولن الحال والمقام وهو يفرق بينهما فيؤكد على أن هبة الحال واكتساب المقام هو ثمة التمييز بينهما فيقول:" عيش الإنسان في أعماق ذاته بنفحات ترد من عالم الغيوب، فالذين فهمو الحال بما يحيط بقلب الإنسان من طرب أو حزن أو بسط أو قبض من غير جهد وسعي منهم عبروا عن دوامه واستقرراه بالمقام، فالحال هبة إلهية، ونفحات الأنس في ربوع القلب والمقام: بلوغ الإنسان فطرة ثانية باستنشاقه هذه النفحات بإرادته وعزمه حتى يملكها ذاته"[٣]

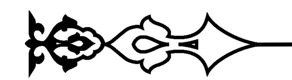
ويقول في عبارة أخرى:" إن الحال هو التجليات التي ترد تترى في أوقات لمراد الإرادة الإلهية المطلقة، فهو في شبكة التأرجح بين المد والجزر والمرتبط بالمقدرات العالية،

---

(١) أبو القاسم عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية.

(٢) محمد فتح الله كولن، التلال الزمردية، ١٦ / ١٧ .

(٣) المصدر السابق، ٥٤.





والمقام مرتبة قد سكنت موجاته واستقرت "[1]

ويشير كولن في المعاني السابقة للحال والمقام إلى أن الحال أمر وهبي لذا فهو يتسم بالتغير أم المقام فهو كسبي لذا يتسم بالثبات، ولم يخرج كولن في تعريفة للحال والمقام عن ما جاء السابقين في ذلك، فهو نفس ما ذكره الطوسي في لمعه[2]، والقشيري في رسالته[3]، إلا أنه إلى القشيري أقرب.



وكعادة الأستاذ كولن في عرضه للمسائل لم يهتم بترتيب الأحوال والمقامات كما السابقين، ولم يدرجها تحت مسمى الحال والمقام، ولكنه سرد كل منها بعنوان مستقل عن الآخر، وسنعرض أمثلة لبعض الأحوال والمقامات كما جاءت عنده، ولن نذكرها كلها لكون ذلك يحتاج إلى أكثر من بحث: -

أولا: ـ المقامات

١ ـ التوبة

يذكر كولن أن التوبة هي أولى منازل السالكين، وهي التوجه إلى الله تعالى بلم الشعث مجددا، مع الاعتراف بالأخطاء، وتجرع عصص الندم، والعزم على تلافي ما فات، ويذكر أن التوبة باعتبار التائبين واوضاعهم ثلاثة أقسام: -

أ – توبة عوام الناس: وهم لامحجوبون عن الحقائق، وتعنى الشعور بغموم مخالفة أمر الحق سبحانه، وأساها في القلب، فيتوجه إلى بابه تعالى بالتوبة والاستغفار.

ب – توبة الخواص الذين بدأوا بالتنبيه إلى حقائق ما وراء الأستار؛ إذ عقب كل حركة وفكرة، أو أي غفلة أدب المعية يستنجدون برحمة الله وعنايته.

---

(١) محمد فتح الله كولن، التلال الزمردية، ٥٥.

(٢) الطوسي، اللمع، ٤٥.

(٣) القشيري، الرسالة القشيرية، ١١٨ / ١١٩ .

ج – توبة أخص الخواص: الذين يديمون حياتهم في أفق " إن عيني تنام ولا ينام قلبي "(١)حيث يقتلعون كل ما يتعلق بها سواه "(٢)

والحديث عن مقام التوبة، واقسامها، وشروطها، وكونها أول منازل السائرين، وأول مقامات الطالبين، مما وافق فيه كولن الطوسي في اللمع، والقشيري في الرسالة، وأبو طالب المكي ت٣٨٦ ه- في قوت القلوب .(٣)

٢ ـ المحاسبة: ـ

يقول كولن:" ويمكن ان نُعرف المحاسبة بأنها: اكتشاف الإنسان بنفسه، جوانبه اللدنّية وعمقه الداخلي وسعة معناه وروحه، ومعرفته لهذه الجوانب، ومن ثم القيام بتحليلها وإظهار مكنونها.

وهي بهذا المعنى جهد روحي، ومخاض فكرى في سبيل استخراج قيّم الإنسان الحقيقية، وإنماء للمشاعر التي هي أساس القيم والحفاظ عليها، ولا يمكن أن يحافظ الإنسان على استقامة الوجدان إلا بمثل هذا الجهد والفكر.

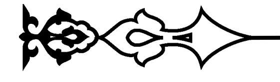
المحاسبة: كالقنديل في عالم المؤمن الداخلي، وكالناصح الأمين في وجدانه، يميز بها الخير عن الشر، والحسن عن القبيح، وما يحبه الله عما لا يحبه، ... والمحاسبة في مواضيع الإيمان والعبودية ونيل السعادة الأبدية تدور بمحض العناية والرحمة الإلهية، إنها مفتوحة كليا على السكينة والإطمئنان، فهي ربوع القلوب المخضلة بالخشوع.

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ــ ﷺ ــ في الليل، رقم ٧٣٨ .

(٢) محمد فتح الله كولن، التلال الزمردية، ٣٣ .

(٣) يراجع الطوسي، اللمع، ص ٦٨، والقشيري، الرسالة القشيرية، ١٧٨، أبو طالب المكي محمد بن على بن عطية، ٣١٦هـ، قوت القلوب في معاملة المحبوب، تحقيق محمود إبراهيم الرضواني، مكتبة دار التراث، ط/ الاولى، ٢٠٠١م، ٢ / ٤٩٩ .





إن محاسبة النفس باستمرار ومعاتبتها هي من كمال الإيمان، وكل روح تستهدف أُفق الإنسان الكامل ووضعت خطتها وفقه، هي في شعور تام بحياتها المعيشية، فيقضي صاحبها دقائق عمره في مجاهدة مع نفسه، حتى أنه يسأل الشفرة كلمة السر عن خاطر يمر على قلبه، ويطالب تأشيرة الدخول لكل فرد يرد إلى عقله.

إن من يعيد كل مساء استعراض نواقصه وأخطائه ويدققها، ويستقبل كل صباح ساداً أبوابه للآثام ويفتح صفحة جديدة بعزم جديد، هو في مثل هذا الوفاء والتواضع والحوية، كلما طأطأ رأسه ومسحه بتراب قدمه ساجدا خاشعا منكسرا ذليلا، تفتحت له أبواب السماء على مصاريعها، فيقال له: تعال أيها الصادق، أنت من الخواص وقد شهدنا لك أنك من أهل الوفاء، فهذا موضع الخواص " فيتشرف كل يوم بسياحة سماوية أخرى "(١)

والنزعة الصوفية عند كولن بادية في حديثه عن المحاسبة حيث المصطلحات التي لا تخرج إلا عن كبار الصوفية، أمثال " الجوانب اللدنِّية، الإنسان الكامل، الحوية، السياحة السماوية " كما أن حديثه عن المحاسبة جاء موافقا فيه الطوسي في اللمع، والقشيري في الرسالة، وأبو طالب المكي في قوت القلوب .(٢)

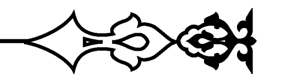
٣ ـ الفرار والاعتصام: ـ

يعرف الأستاذ كولن الفرار بأنه " السير من الخلق إلى الحق سبحانه، والالتجاء من الظل إلى الأصل، وترك القطرة والتوجه إلى البحر، وترك الذرة والتوجه إلى الشمس، والإنسلاخ من الانانية وإذابة الوجود في أشعة الحق تعالى، بحيث يمكن أن تربط هذه كلها بما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ ﴾ الذاريات٥٠ من

---

(١) محمد فتح الله كولن، التلال الزمردية، ٣٨ وما بعدها .

(٢) يراجع الطوسي، اللمع، ٤٥، والقشيري، الرسالة القشيرية، ١٦٣، وأبو طالب المكي، قوت القلوب، ٢ / ٤٩٩ .



السير القلبي والسير الروحاني،.. ومقام الفرار يصل بصاحبه إلى الذوق والوصال والخلافة والقرب.



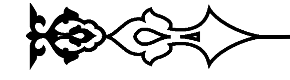
ويفرق الأستاذ كولن بين فرار العوام والخواص وخواص الخواص؛ فيقرر " أن فرار العوام، هو الاحتماء من ضيق الوجود وضجيجه وقبح المعصية إلى رحاب الأُنس بالله وجميل غفرانه جل جلاله، وهؤلاء ينصبون أخبيتهم على سفوح المعرفة، ويذكرون الله سبحانه في كل شيء، من الذرات إلى المجرات، فيطلبون مطالب تعجز عنها الموازين ويبدأون بطلب ما لا يمكن وقوعه.

وفرار الخواص، هو من الصفات إلى الصفات، ومن السر إلى الشهود، ومن الرسوم إلى الأصول، ومن حظوظ نفسانية إلى مشاعر روحانية، وهؤلاء يطلقون كل آن أشرعتهم في بحر آخر للمعرفة، فيمضون عمرهم بتلونات واردات متنوعة، ولأنهم لم ينجو من البرزخ يعجزون عن بلوغ أُفق الحيرة التامة، فيرنون بأبصارهم كل آن نحو مراتب الصعود ويطيرون من مرتبة إلى أخرى مرتعدين من تصور السقوط .

وأما فرار أخص الخواص فهو من الصفات إلى الذات، ومن الحق إلى الحق تعالى، فيقولون دائما: وأعوذ بك منك[1] ويعشون في جو الهيبة والمهابة، وهؤلاء هم الناجون من مد " الحال " وجزره، رؤوسهم غارقة دائما في عمق آخر من أعماق الحيرة، وعيونهم تحدق ذابلة بشراب عين ماء، فيبلغون من النشوة مبلغا قد لا يفيقون منها حتى بصور إسرافيل، ولا يمكن أن يعبِّر أحد عن مدى عمق أفكارهم وسريان تخيلاتهم إلا من ذاق ما ذاقوا من نشوة"[2]

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، ح ٢٢٢ .

(٢) كولن، التلال الزمردية، ٥٠.



ثانيا :ـ الأحوال :ـ

١ ـ حال القبض والبسط

يعرفهما كولن فيقول:" القبض: هو الانطاء والانكماش، وحالة انتزاع الروح أو انقطاع الفيوض المعنوية للإنسان، ارتخاء علاقته الوثيقة مع منبع الفيض الأبدي لما في ماهيته من ثغرات وبقاؤه في فراغ إلى حد ما، في حين ينبغي أن تكون رابطته وثيقة معه .



أما البسط، فهو مد، انفتاح، عرض، توسع، انشراح وابتهاج، او ارتفاع الإنسان إلى نقطة يكون وسيلة في الوجود إلى حد استيعابه الأشياء، توسع القلب واشراحه، سمو الذهن إلى حيث يتمكن من حل أكبر المعضلات" [١]

" والقبض والبسط بيد الله سبحانه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٤٥، .. والقبض جلالي، والبسط جمالي، ففي أحدهما تظهر العظمة والكبرياء بسر الواحدية ، وفي الاخر تتبين الرحمة وتجلي التنزل، ففي أحدهما اقشعرار الأبدان أمام القدرة التي تدير الوجود كله كحبات المسبحة من الذرات الي المجرات، وفي الأخر نفحات الانس تكرمة للأرواح الوجلة من الحيرة والدهشة أمام هذه العظمة التي تواضع لها كل شيء وهذا الجبروت الذي ذل له كل شيء "[٢]

ولم يختلف حديث كولن عن حال القبض والبسط عما جاء عند القشيري ٤٦٥ﻫ في الرسالة .[٣]

---

(١) المصدر السابق، ٢٥٠.

(٢) المصدر السابق، ٥١ .

(٣) القشيري، الرسالة القشيرية، ١٣٥ .



٢ـ حال الجذبة والانجذاب

الجذبة عند كولن " هي الجلب وشد الشيء إلى غيره، الغيبة عن النفس والنشوة الروحية، .. فالجذبة موهبة عظمى، وحظوة كبرى، لا يمكن ان تكتسب بالاسباب العادية، والسبب الوحيد لهذه الحظوة؛ هو جبر مقدس واختيار مبجل، .. فما يبدو قطعه محالاً بإرادة الإنسان من المسافات الطويلة جدا والمرتفعات الشاهقة؛ يتحقق بجذب الحق سبحانه ورفعه، بحملة واحدة وبنفخة واحدة، كالمعراج، وقيل جذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين أي القرب الحاصل من أعمال الثقلين.

وإذا كانت الجذبة جلبا مرتبطا بذات الإنسان وشدا للسالك بقوة قدسية إلى المركز نحو غاية خلقه، والأفق الذي تشير إليه بوصلة ماهيته، فالإنجذاب هو استجابة الروح لهذه الدعوة الواردة، طوعا دون مقاومة بقوله: " أتينا طائعين [١]

" والجذبة استعداد وموهبة أولى قبل كل شيء، فلو لم يكن عطاء الله الجبري الأول هذا، لما كسب سالك الحق الجذبة ولا الانذاب بمجرد الرياضة والعبادة والتزكية، ولما شاهد ولا أدرك تموجات الجذب والانجذاب على وجه الكائنات الحاصلة بالنور المترشح من أسم الله " الودود " ثم يورد كولن قول يونس إمرة [٢]:-

ما حيلة الشيخ معي إن لم تكن جذبة ال-حق .

ما حيلة الشيخ معي إن لم يرد الإلهام من الحق .

(١) انظر، محمد فتح الله كولن، التلال الزمردية، ٢٤١ وما بعدها.

(٢) يونس إيمري توفي نحو ١٣٢١م هو قاضي و شاعر ومتصوّف تركي، كان درويشا لشيخ يدعى "طابطوق إيمري" في منطقة صقاريا. وقد صرح يونس إيمري في ديوانه أنه ينتسب لهذا الشيخ وأنه تلقى عنه الفيض لسنوات طويلة، راجع، حمزة طاهر، التصوف الشعبي في الأدب التركي، بحث بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مجلد ١٢، جزء ٢، عام ١٩٥٠، ١١٧.

ويسترد كولن قائلاً: الجذبة تجعل الإنسان مستغرقا أحيانا في محيط الفيض الإلهي، قد دفن الدنيا والعقبى وعلاقته بهما في نسيان عجيب حتى لا يستطيع أن يرى غير تجلياته سبحانه، يقول " معلم ناجي " [١]

جذبة أُعطيتها كأنها هدير البحر حتى ظننت خيالي بحر الفيض الإلهي .

يقول هذا ويرى نفسه والأشياء جميعها مثله، في نشوة سكرى بجذب ذلكةالجذاب المقدس، نعم إن كل الناس وكل شيء نشوان بجذبة المحبة الإلهية، وبشرب المحبة " [٢]

والجذبة عند الصوفية لا تخرج عما جاء به كولن إذ تعني:" تقريب العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعى منه "[٣]

٣ ـ حال الشوق والاشتياق

الشوق: هو نزوع القلب برغبة إلى محبوب لا يدرك، ولا يحاط به كليا، يشاهد ثم يغيب، هو جمرة تتوقد في قلب العاشق تبيد مما سوى الميل نحو المحبوب، جميع الخواطر، جميع الميول، جميع الرغبات .

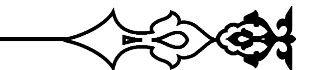
فالشوق هو توجه الحواس الظاهرة والباطنة نحو المحبوبمع الإنغلاق التام عن كل شهية إلى ما سواه، بينما الإشتياق: هو فيض الرغبات والطلبات نحوه.. وكلاهما من المنابع المهمة لإنماء

---

(١) المعلم ناجي توفي سنة ١٨٩٣، هو كاتب وشاعر ومعلم وناقد أدبي تركي، اشتغل بنقد الشعر والنثر على حد سواء، ونال مكانة مرموقة في الأدب والمجتمع التركي راجع، حمزة طاهر، التصوف الشعبي في الأدب التركي، ٢٠٥.

(٢) محمد فتح الله كولن، التلال الزمردية، ٢٢٥.

(٣) عبد الرازق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ٦٥ ، عبد المنعم حفني، معجم مصطلحات الصوفية، ص ٣١ .



الروح، وكلاهما مؤلمان ولكن يورثان الإنشراح، يضيقان ولكن يعدان بالأمل [1]

ويقرر كولن أن " منشأ الشوق المحبة، ونتيجة المحبة الشوق، ودواء القلب المحترق بالشوق الوصال، والشوق جناح من نور في هذا الطريق، والعاشق حين بلوغه الوصال يسكن الشوق، بينما يزداد الاشتياق، ووجدان المشتاق يهتز بعد كل خطوة طلبا للمزيد.



ويبين كولن أن للشوق والاشتياق صورتان:-

١ - الاشتياق الحاصل في اثناء الافتراق بعد مشاهدة المحبوب والوصال به، فأنين المحبين ما هو إلا صراخ لما يشعرون به من شوق نحو الوصال والمعية التي عرفناها في الميثاق الاول، ويستمر هذا الصراخ إلى الموت الذي عدوه " ليلة الزفاف

٢ - العاشق المشتاق، يرى محبوبه وراء ستار، ولكن لا يحيط به، يحس به ولكن لا يدركه إدراكا تاما.. يغمس إصبعه بعسل العشق ولكن لا يسمح له بخطوة أخرى، فينادي: قطرة ماء .. ما زلت أحترق، وتحرّقه مطلوب، ولكن لا يؤبه بعويله. " [2].

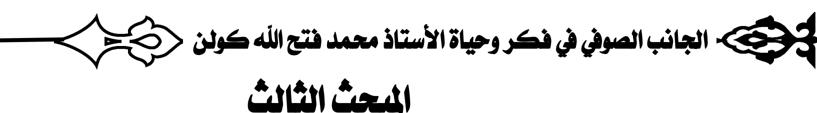
والحديث عن الفرار والاعتصام كما جاء عند الأستاذ كولن جاء موافقا لما في اللمع للطوسي ، والرسالة للقشيري، وقوت القلوب لأبي طالب المكي .[3]

---

(١) محمد فتح الله كولن، التلال الزمردية، ٢٣٧.

(٢) المرجع السابق، ٢٣٨ .

(٣) يراجع اللمع، ٩٤، والرسالة القشيرية، ٥٣٢، وقوت القلوب، ٢ / ١١٠١ .



المبحث الثالث

موقف كولن من بعض نظريات التصوف الفلسفي.

للتصوف على مدار تاريخة مصطلحات ونظريات عدة اشتهرت على ألسنة أعلامه، وقد اختلفت نظرة الناس إليها بين مؤيد مبرر لها وبين معارض مكفر لأصحابها، ونظرا لميول الأستاذ كولن الجارف للتصوف والصوفية فقد قبل هذه النظريات ومدحها بل وعاشها، وقد احتاج ذلك منه إلى تفسيرها وتأويلها عن ما قد يفهم من ظاهرها، وتبرئة أصحابها من إيهام هذا الظاهر، وفيما يلي نظهر رأيه في بعض هذه النظريات:-

١ ـ نظرية وحدة الوجود:ـ

وحدة الوجود في المفهوم الصوفي:ـ هو مذهب يُحل الالوهية من الوجود المحل الأول، فالله هو الحقيقة الأزلية والوجود المطلق الذي هو أصل كل ما كان، وما هو كائن أو سيكون، فإن نسب إلى العالم وجودا فهو كوجود الظلال بالنسبة إلى اشخاصها، وصور المرايا بالنسبة للمرئيات، أما العالم نفسه فليس إلا خيالا وحلما، والوجود الحقيقي هو وجود الله وحده، ولذا لم يحتج إلى دليل فهو عين الدليل، وبه تظهر جميع الموجودات، وإنما خفى الحق لشدة ظهوره كالشمس تحتجب عن الناظر إليها لشدة ما يبهر ضوؤها بصره "(١)

فأصحاب هذا المذهب يحاولون إثبات أن الموجود واحد فقط في الحقيقة أما الكثرة الموجودة في العالم ما هي إلا تعينات للذات الإلهية! ولم تكتمل صورة هذا المذهب إلا بمجئ الصوفي الأندلسي محي الدين ابن عربي.

فما نراه في الوجود ما هو إلا تجليات للحق -ـ سبحانه -ـ، يقول ابن عربي: " فالتجليات الوجودية الذاتية هي تعينات للحق بنفسه لنفسه من نفسه مجردة عن كل مظهر أو صورة، وعالم هذه التجليات أي عالم الأفق الخاص الذي تنبعث عنه وتشعّ فيه هو عالم

(١) د/ أبو العلا عفيفي، تعلقياته على كتاب فصوص الحكم لمحي الدين ابن عربي، ٢٧.

الأحدية، وفي هـذا العـالم تظهر ذات الحق منزهة كل صفة واسم أو نعت ورسم، إنه عالم ذات الحق هو سرّ الأسرار وغيب الغيوب؛ كما هو أيضاً مظهر التجليات الذاتية أي المرآة التي تنعكس عليها الحقيقة المطلقة "[1].

فمفهوم وحدة الوجود عند ابن عربي؛ لا تقوم على فكرة الحلول أو الاتحاد، إنما تقوم على فكرة الصورة والتجلي، فكل المخلوقات صورة الله تعالى، والله يتجلى فيها، كل بحسبه.

أما كولن فيبدأ الحديث عن وحدة الوجود سائلاً: " ماهي وحدة الوجود، وهل توافق عقيدة أهل السنة ؟ ثم يحرر موطن الخلاف في المسألة أولاً، فيقول: " إن للتوحيد عند أصحاب وحدة الوجود مراتب ثلاث، وهي:-

١ -ـ **توحيد الأفعال:** إسناد كل فعل في الكون إلى الله - ﷻ -: الأفعال كلها أيا كان سببها هي أفعال الله مباشرة، ولا داعي لتحري أي سبب آخـر، ويُستدل على هذا بقوله ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات: ٩٦.

٢ - **توحيد الصفات**: الاعتقاد بأن القوة كلها قدرة الله، والعلم كله علم الله، والإرادة جميعها إرادة الله والقوى بمختلف أنواعها مصدرها قوة الله تعالى.

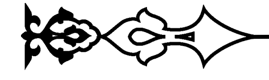
٣ - **توحيد الذات:** ليس هناك إلا وجود واحد وهو وجود الله، وما سواه مما نشاهده ليس سوى ظهور وتجليات منه على مختلف المراتب، ويستبعد النوعين الأولين ويقرر أن مسألة وحدة الوجود خاصة بالنوع الثالث "[2]

ثم يقرر كولن أن وحدة الوجود لدي الصوفية ويسميهم أهل التحقيق، هي حال

---

(١)ابن عربي، التجليات الإلهية، تحقيق عثمان إسماعيل يحي، نشر: مركز دانشكاهي طهران إيران ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ٢٠.

(٢) محمد فتح الله كولن، سلسلة أسئلة العصر المحيرة ٢، نحو عقيدة صحيحة، ط/ دار النيل، ترجمة أورخان محمد على ــ عبد الله محمد عنتر، بدون ذكر رقم الطبعة ، ١٦ .





من أحوالهم، وذوق من أذواقهم، فهم أرباب الحقيقة حقا، وإذا كان الأمر يتعلق بالذوق والوجد لدى الصوفي فنقبله ولا ننقده، يؤكد على ذلك فيقول: "وإذا انحصر هذا المفهوم في الذوق والحال، فلا مجال لنقده أو الاعتراض عليه، فإسناذ الأشياء والحوادث إلى الله وأسمائه واجب عقلا ونقيضه محال كما يعرفه أهله، وهذا قريب من مفهوم التوحيد عند أصحاب هذه المدرسة، ووجه نظر الصوفية مثله " (1)



ويطيل كولن في تبرير وحدة الوجود لدى الصوفية فيقول:" ومفاده: أن هؤلاء يعترفون بالكثرة ولكن في حال الاستغراق والفناء في التوحيد يتلاشي في نظرهم كل ما سوى الله، يقول:" أما الصوفية فيعترفون بالكثرة في الوجود، لكن طالب الحقيقة عندما يصل إلى الله يجد نفسه مستغرقا في بحر المعرفة، ويشهد فناء ذاته أمام ذات الله، وصفاته أمام صفات الله، ويتلاشي في نظره كل ما سوى الله؛ وعندئذ يعد السالك وجوده ملتقى تجليات الحق، وهذا ما يسمي " بالفناء في التوحيد "(2)

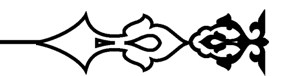
ومن النص السابق ندرك تبني الأستاذ كولن لفكرة وحدة الوجود بمعنى تجلى الله تعالى في مخلوقاته، وهو بذلك يردد نفس مفهوم وحدة الوجود كما جاء عن ابن عربي، ويؤكد ذلك في شرحه لهذا المقام الفناء في التوحيد الذي تتلاشى فيه ذات المريد بذاته –ـ تعالى – قائلاً:" هذا التوحيد هو مقتضى مقام الجمع(3) وهذه مسألة عرفان ثم مسألة ذوق، واعتراف

---

(1) كولن، نحو عقيدة صحيحة ١٦ .

(2) المرجع السابق ١٦ .

(3) الجمع : هو شهود الحق بلا خلق، وإزالة الشعث والتفرقة بين القدم والحدث ". معجم اصطلاحات الصوفية، تصنيف عبد الرازق الكاشاني ت٧٣٠هـ تحقيق د/ عبد العال شاهين، ط/ دار المنار بالقاهرة، الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م ، ٦٧، ومعجم مصطلحات الصوفية د/ عبد المنعم الحفني ط/ دار المسيرة بيوت، ط/ الثانية، ١٤٠٧ه، ٦٦ .



الإنسان في هذا المقام بوجود حقيقي لما سوى الله مخالف لمشاهدته وإحساسه؛ فمن سلم بوجود الأشياء والأسباب وهو في هذا الحال شعر أنه شرك بالله - ﷻ -، وبالعكس إن إنكار الأسباب دون بلوغ هذا المقام وهذا الحال رياء وإدعاء باطل؛ فمن لم يذق الجمع حرم من المعرفة، ومن لم يذق الفرق[1]حرم من أسرار العبودية، أما الكامل فهو يقر بالجمع في موضعه، والفرق في موضعه "[2]

والنص يوضح مدى استغراق كولن في الشعور بأحوال ومقامات الصوفية، فالكلام هنا لا يحمل على مجرد التبرير لرأى رآه، أو ترجيح رجحه، إنما هو حديث متذوق لمقام الجمع والفرق، مدرك لمعنى الفناء في التوحيد.

ويؤكد كولن على صحة معاني وحدة الوجود الصوفية، ويستدل عليها قائلاً:" فهذه الفكرة التي تعد كل التقلبات والتموجات للحق - ﷻ -ـ لا تنسب صفة الوجود لأي شيء سوى الله؛ فنسبة صفة الوجود لغير الله مجاز روعيت فيه الصورة؛ أما التنوع والكثرة في الأشياء التي هي تجليات الحق فمردها إلى اختلاف مرايا التجليات اختلافا لا يغير شيئا في وحدة الوجود، الوجود الحقيقي إذا واحد كالنور تماماً، والكون كله انعكاس لهذا النور وتموج له، مثل الغيث والبرد والثلج صورها مختلفة، وحقيقتها صور لشيء واحد، فالأشياء والحوادث الجارية جريان السيل صورها مختلفة، وحقيقتها جلوات لحقيقة واحدة "[3]

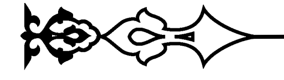
فأقوال الصوفية إذن، وإن كان ظاهرها وحدة الوجود، ولكنها كانت مسالة ذوق

---

(١) الفرق: هو شهود قيام الخلق بالحق، ورؤية الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة من غير احتجاب صاحبه بأحدهما عن الآخر، الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ١٥٣، د/ عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ٢٠٥.

(٢) نفس المرجع ١٧ .

(٣) المرجع السابق ٢٠ .





وحال، وهو ما يسمى بالفناء[1] في التوحيد بدليل أنهم يعترفون بالاثنينية في شواهد أخرى، وبالكثرة في الوجود، " فعقيدة الصوفية الأوائل وأقوالهم في مسألة التوحيد خالصة صافية من كل هذه الإيهامات، ولا تدل على أكثر من وحدة الشهود[2]" [3]



يقول كولن:" صحيح أن ابن عربي قال بوحدة الوجود إلا أنه بدلا من معنى " لا وجود لأي موجود سوى الله " كان يعنى " لا وجود حقيقي وقائم بذاته سوي الله " أي كان يومئ إلى وحدة الشهود من بعيد " [4].

ويجتهد الأستاذ كولن في إيجاد مخرج لما صدر عن عظماء الصوفية كما وصفهم؛ في كونهم لم يصدر عنهم سوى القول بوحدة الوجود في كل أحوالهم؛ فناءً كان أو صحواً، فيعتذر عنهم مرة بأنهم كانوا ينظرون إلى عالمنا على أنه عالم الوهم أو الخيال، فهو عالم اعتباري ليس على الحقيقة؛ أما عالمهم فهو العالم الحقيقي فقط، لذا عبروا عنه وأهملوا الأخر.

يقول كولن "هؤلاء العظماء أمثال محي الدين بن عربي عندما تأتيهم تجليات ربانية في خلواتهم ينجذبون إليها، ويرون ذلك العالم هو العالم الحقيقي، فتفكر عقولهم، وتسطر أقلامهم بموازين ومقاييس ذلك العالم الذي هو حقيقة عندهم حلم عندنا، ثم يصوغون ما كتبوه، ولا يحاولون التوفيق بين ما كتبوه وبين خصائص عالمنا هذا، ولو أنهم علموا أن العالم

---

(١) الفناء: زوال الرسوم جميعا بالكلية في عين الذات الأحدية مع ارتفاع الاثنينية وهو مقام المحبوبية، وأيضا تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذات، فكلما ارتفعت صفة قامت صفة إلهية مقامها، الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ٣٦٥، والحفني، معجم مصطلحات الصوفية ٢٠٧ .

(٢) وحدة الشهود: رؤية الحق بالحق، ورؤية الكثرة في الذات الأحدية ورؤية الأحدية في الكثرة، الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، ١٧١، والحفني، معجم مصطلحات الصوفية ١٤٢.

(٣) كولن، نحو عقيدة صحيحة، ٢٠.

(٤) كولن، أسئلة العصر المحيرة ١٤٦ .

هو العالم الحقيقي لصححوا أخطاءهم وهم في ذلك العالم، لكنهم لمًا لم يفعلوا دل ذلك على انهم لم ينظروا إلى عالمنا على أنه العالم الحقيقي البته "[1]

ومرة ثانية يعتذر عن الصوفية بأن كتبهم لا تخلوا من الدس فيها ما ليس من كلامهم، ويضرب لذلك مثلا بالمؤلفات المنسوبة إلى جلال الدين الرومي ، فيقول " ليس لنا أن نجزم بأن المؤلفات المنسوبة لمولانا جلال الدين الرومي وما فيها له، فقد اكتشف حتى اليوم أن بعضها منحولة عليه "



ويعتذر عنهم أخيرا بأن ما صدر عنهم من رموز وإيماءات ومصطلحات في عالمهم الحقيقي؛ لا يدرك بفهوم من هم في عالم الخيال، ويستشهد يقول ابن عربي " حرام على غيرنا قراءة كتبنا " [2]

ويتضح مفهوم وحدة الوجود لدى الأستاذ في قوله:" وجودنا مستمد من وجود الخالق تعـالى، وعظمتـه تحـيط بـالكون وبالكائنات، ونوره يتألق في كل شيء، السماوات والأرض لمعة من بريـق نوره، والوجود كله عبد خاضع لديه، هو المحراب الأبدي لكل قلب واصل إلى الحقيقة، هو الوجود الوحيد للأولياء العارفين الذين سموا بأحاسيسهم إلى الأعالي "[3] . فهو يرى أن مفتاح وحدة الوجود يكمن في مفهوم الوجود الحقيقي، فالممكن لا وجود له مستقل عن وجود الحق تعالى.

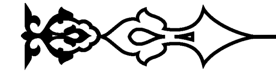
٢ ـ نظرية الإنسان الكامل:ـ

فكرة الإنسان الكامل لدى الصوفية هي هدف محورى يدور حوله الصوفي، ويسعى

(١) نحو عقيدة صحيحة، ١٦٨.

(٢) المصدر السابق ١٦٩ .

(٣)كولن، الموازين، أو أضواء على الطريق، ترجمة: أوخان محمد على، ط، دار النيل ، القاهرة، ط/ التاسعة ٢٠١٣م، ٥٧.



إليه، وهو من المفاهيم الرائجة الاستعمال لديهم، وهو يعني عندهم الانسان الذي وصل مرتبة الفناء، ففي رسالة القشيري أنّ "حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء، وقيام كل فريق منهم باسم؛ وهو: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، فمتى فني عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام"(1).

ويقول الجرجاني: "مرتبة الإنسان الكامل: عبارة عن جميع المراتب الإلهية والكونية، من العقول والنفوس الكلية والجزئية، ومراتب الطبيعة، إلى آخر تنزيلات الوجود، وتسمى: المرتبة العمائية أيضًا؛ فهي مضاهية للمرتبة الإلهية، ولا فرق بينهما إلا بالربوبية؛ ولذلك صار خليفة لله تعالى"(2).

ولا ريب أنّ مفهوم الانسان الكامل بالمعنى الذي ذكره الجرجاني وهو ما يشترط أن يستجمع هذا الكامل جميع

المراتب الإلهية والكونية ولا يفرق بينه وبين الإله إلا الربوبية، غلو ظاهر يحتاج من أصحابه إلى توضيح

وجاء في المعجم الصوفي قوله: "وإنما كان الروح المحمدي هو مظهر هذا الروح، لأجل كمال طهارة مرآة قابلية قلبه التقي النقي ـ ﷺ ـ ، ومضاهاته في التبعية لحضرة الحق تعالى، ويسمى أيضا روح الأرواح، لانتشاء جميع الأرواح عنه، والكون فص أنت معنى نقشه ووجوده، فذلك المعنى هو الإنسان الكامل؛ لأنه لولاه لما وجد العالم"(3).

وفكرة الإنسان الكامل بالمفهوم السابق لم تكن معروفة عند أوائل الصوفية، والراجح أن

---

(1) القشيري ، الرسالة القشيرية، ١١٨.

(2)الجرجاني، التعريفات ، ٢٠٩.

(3)د. محمود عبد الرازق، المعجم الصوفي، دكتوراه بكلية دار العلوم جامعة القاهرة. ١١/ ٣٢ .

أول من أطلقها هو محي الدين ابن عربي فهي الفكرة الرئيسة التي دار عليها كلامه في معظم كتبه فلا يخلو كتاب أو رسالة أو حديث إلا وأشار إليها وعبر عنها واستدل عليها، يقول في كتاب له بعنوان الانسان الكامل: "اعلم أنّ العالم كله لولا الإنسان الكامل ما وُجِداً وأنه بوجوده صح المقصود من العلم الحادث بالله "(١).

ثم جاء من بعده فصاروا في طريقه ووشرحوا الفكرة كما عنده وداروا في فلكها ولم يخرجوا عن مضمونها، فأكمل ظهورها نجده في كتاب الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر لعبد الكريم الجيلي ٧٦٧هـ (٢) وقد تتلمذ على الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي ٧٢٢ هـ وهو تلميذ ابن عربي، وكذا لصدر الدين القونوى، وفريد الدين العطار ٥١٢ هـ إشارات وتحقيقات لمعنى الإنسان الكامل كما قرره ابن عربي .(٣)

الأنسان الكامل في فكر الأستاذ كولن :ـ

دائما ما يردد الأستاذ كولن مصطلح الإنسان الكامل كمرتبة يصل إليها الإنسان الذي ترقى في مراتب دراجات الطريق الصوفي حتى تأهل لهذه المرتبة.

فمثلا من أقواله تلك " لقد امتزجت التكايا والزوايا مع المدارس وتعاونتا في ترقية الإنسان، وقلبه، وعقله، ولطائفه كافة، ودفعه ليصل إلى مرتبة الإنسان الكامل " (٤)

وعند تقسيمه للصوفية أشار إلى أن " الكاملون قسمان: الأول: الأنبياء والرسل،

---

(١)محي الدين ابن عربي، الإنسان الكامل، ط/ الثانية ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، ٨ .

(٢)عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي ٧٦٧ - ٨٠٥هـ ، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل من منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية لبنان بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م. ٣٤ .

(٣) د سعاد الحكيم، عودة الواصل دراسات حول الإنسان الصوفي، ط/ دار دندرة للطباعة والنشر، ١٩٩٤م ١٣٦ .

(٤) كولن، أسئلة العصر المحيرة ٢٥٧ .



والثاني: الكاملون الذين وصلوا إلى الحق باتباعهم الانبياء وانقيادهم لهم، فيقول عنهم : " فهؤلاء يمثلون حقا الإنسان الكامل من حيث سماء استعدادهم " (١)

ويقول الأستاذ كولن: " التزود بالعلوم الظاهرة والباطنـة، والاحتماء بريادة إنسان كامل وإرشاده ، هاتان الخاصتان تحوزان أهمية لـدى النقشبنديين "(٢) وفي نفس السياق يقول : " والشخص الذي يتوجه إلى هذا النبع كل يوم عدة مـرات بالفكر والذكر هو شخص عازم على السير في درب "الإنـسان الكامـل" ويكون قد عثر على الملجأ الذي يحفظه من دسائس الشيطان. العبادة هي عملية إنماء الجوهر الملائكي الموجود في روح الإنسان لكـي يكون أهلا للجنة(٣) .



ويرى بأن أقصـر طريق للوصول إلى الإنسان الكامل هو طريق؛ العشق الذي ينسي الإنسان نفسه ويجعله فانياً في معشوقه؛ إن العاشق الثمل الذي جعل عشق الحق مذهباً له والذي يحتمل ألا يصحو من سكره إلا على صوت الصور يوم القيامة(٤)، ويقول أيضا: " قاب قوسين" وهو أن تكون إنساناً كاملاً؛ ويا أيها المؤمن إن " قاب قوسين" بالنسبة لك هو أن تفنى في الله ورسوله وكتابه؛ وتذوب وتضمحل من حيث جوانبك النفسانية(٥)

ففكرة الإنسان الكامل كانت حاضرة في حياة وفكر كولن، إلا أننا وللأنصاف نلاحظ أنه لم

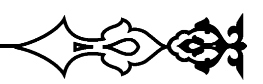
(١) كولن، التلال الزمردية ٢٩ .

(٢)المصدر السابق، ١٦؛ ١٧ .

(٣)كولن، الموازين ١٥٩ .

(٤) المصدر السابق، ١٣٣

(٥)محمد فتح الله كولن، خواطر من وحي سورة الفاتحة، ط/ دار النيل للطباعة والنشر، ط/ الاولى، ٢٠١٥م، ١٥٢ .

يستغرق في معناها ليصل به إلى المعنى الفلسفي الذي وصل إليه الصوفية، بل إن غاية ما وصل إليه في معنى الإنسان الكامل هو الوصول إلى مرتبة الفناء الصوفي وهو ما ذكره القشيري في رسالته وجاء متأثرا به .

٣ ـ نظرية الحقيقة المحمدية بين الصوفية وكولن .

كان للحلاج أكبر الأثر في وضع أساس هذه النظرية فهو أول من تنبه إلى قول النبي –ـ ﷺ –ـ: " إن الله خلق آدم على صورته " [(١)] وقد عرض لفكرته في كتابه الطواسين تحت طاسين السراج يقول " أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنوار وأظهر وأقدم من القدم سوى نور صاحب الكرم، همته سبقت الهمم ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم لانه كان قبل الأمم "[(٢)] والنص يشير إلى أصالة وقدم النور المحمدي، فهو الاول الذي استمدت منه الأنبياء والأولياء والاكوان.

ويقول أيضا: " العلوم قطرة من بحره، والحكم غرفة من نهره، الأزمان كلها ساعة من دهره، الحق به، وبه الحقيقة، هو الاول في الوصلة، هو الأخر في النبوة، والباطن بالحقيقة، والظاهر بالمعرفة "[(٣)] ويشر الحلاج في هذا النص إلى أن للنبي – ﷺ – حقيقتان أحدهما قديمة حيث الوجود الاول، والأخرى حادثة وهي كونه آخر الأنبياء .

ويرى ابن عربي أن نظرية الحقيقة المحمدية هي جزء من نظرية أكبر يسميها نظرية الكلمة الإلهية التي يقسمها إلى مسائل ثلاث:"

١ :ـ الكلمة من الناحية الميتافيزيقة، ويسميها حقيقة الحقائق، وهو مرادفة للعقل الإلهي، أو

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه بلفظ " إذا قاتل أحدكم أخاه، فليتجنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته" باب النهي عن ضرب الوجه، كتاب البر والصلة والآداب برقم ٢٦١٢ .

(٢) قاسم محمد عباس، الحلاج الأعمال الكاملة، كتاب الطواسين ، ط/ مكتبة الإسكندرية ط/ أولى ٢٠٠٢ م ١٦٢.

(٣) المرجع السابق ١٦٣ .



العلم الإلهي.

٢ :- الكلمة من الناحية الصوفية وهو الحقيقة المحمدية.

٣ :ـ الكلمة بمعنى الإنسان الكامل "[١]



ويقول د/ أبو العلا عفيفي في شرح هذه النظرية عند ابن عربي " ترى هذه الفكرة أن الله اما شاء أن يتجلى للوجود بأسمائه وصفاته جعل الإنسان الكامل مرآة لظهوره وتجليا لأسمائه وصفاته، واعلى مراتب الإنسان هي مرتبة الأنبياء والأولياء، وأكمل هؤلاء هو محمد - ﷺ - لا محمد النبي المبعوث، بل الحقيقة المحمدية، أو الروح المحمدي، فإنه هو المظهر الكامل للذات الإلهية والأسماء والصفات، وهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين "[٢]

ويذكر عبد الكريم الجيلي٧٦٧هـ أن فكرة الحقيقة المحمدية تقوم " على أن للنبي - ﷺ - وجود قبل وجود الخلق، وقبل وجوده الزماني في صورة النبي المرسل، وأن هذا الوجود قديم غير حادث، وهو مما يعبر عنه بالنور المحمدي، وهذا النور المحمدي ينتقل في الزمان من جيل إلى جيل، وأنه هو الذي ظهر بصورة أدم ونوح، وإبراهيم، وموسى، وغيرهم من الانبياء، ثم ظهر أخيرا بصورة خاتم النبيين محمد - ﷺ - ويتصور في كل زمان بصورة أكملهم ليعلى شأنهم فهم خلفاؤه في الظاهر، وهو في الباطن خليفتهم" [٣] وبهذا ارجعوا جميع الأنبياء والأولياء إلى أصل واحد وهو النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية . وهو مصطلح يقوم على اعتقاد مفاده أن النبي - ﷺ - ليس بشرا بل هو نور أزلي تجلى في آدم واستمر في سائر الأنبياء حتى تحقق بصورة النبي - ﷺ - هو أول خلق لله .

---

(١) ينظر محي الدين ابن عربي، فصوص الحكم، ، تعليق د/ أبو العلا عفيفي ط/ دار الكتاب العربي بيروت لبنان، بدون تاريخ ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ٣٧ .

(٣) عبد الكريم الجيلي، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ٢٢٤ .



الحقيقة المحمدية في فكر كولن :ـ

اقتصر حديث كولن عن نبوة النبي – ﷺ – بداية على القول " إن نبوة محمد ـ ﷺ – ورسالته كانت قبل جميع الأنبياء والمرسلين، فقد ورد في أحد الأحاديث: أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر،[1] وفي حديث آخر : كنت نبيا وآدم منجدل في طينته[2] أي أن تخطيط إرساله نبيا كان قبل الجميع، وقد تناول المتصوفة هذا الأمر تحت عنوان الحقيقة المحمدية، ووقفوا عندها كثيرا، وهم يرون أن الحقيقة الأحمدية هي في الوقت نفسه حقيقة الكون، وأرادوا بها إظهار عظمة الرسول وأنه مظهر لأعظم رسالة " [3]

ويتضح من هذا النص أن معنى مصطلح الحقيقة المحمدية لدى كولن يختلف عنه لدى الصوفية، فالمعنى عنده أن تقدير إرسال محمد – ﷺ ـ رسولا كان قبل كل الأنبياء – عليهم السلام ـ لا أنه خلق قبلهم، أو أن له حقيقتان قديمة وحادثة كما يرى الصوفية، ومع ذلك فإننا نجده يدافع عنهم كعادتة فيؤول كلامهم بأن غاية مقصدهم إظهار عظمة النبي ـ

---

٢ حكم المحدثون بأنه حديث منكر موضوع ، قال الحافظ السيوطي: " ليس له إسناد يعتمد عليه» اهـ، وهو حديث موضوع جزمًا... إلى أن قال: وبالجملة فالحديث منكر موضوع لا أصل له في شيء من كتب السُّنّة " الحاوي في الفتاوى ١/ ٣٢٥.

(٢) جاء بألفاظ متعددة منها كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ولفظ وكنت ولا آدم ولا ماء ولا طين أخرجه السيوطي في الدرر المنثورة في الأحاديث المشهورة، وقال: لا أصل له، باب الكاف رقم ٣٣١، وأخرجه أحمد في مسنده من حديث العرباض بن سارية، رقم ١٧١٥٠بلفظ " إني عبد الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته .. " وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح لغيره ينظر مسند الإمام أحمد تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط وأخرون، ط/ مؤسسة الرسالة، ط/ أولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ٨/ ١٧٩.

(٣) كولن، ترانيم روح وأشجان قلب ٤٣ .



ﷺ – ورسالته.

لكن خلاف هذا النص نجد نصوصا أخري تشرح فكرة الحقيقة المحمدية لدى كولن بشكل أكثر تفصيلا ووضوحا، بلغة عصرية أدبية، مستشهدا فيها بالعلوم الحديثة، يقترب فيها كولن كثيرا من نظرة الصوفية عن الحقيقة المحمدية منها:-

١ –ـ قوله " إن الله تعالى خلق نور سيدنا محمد، ثم أتبعه بخلق سائر الكائنات على التوالى ... وهكذا فالله تعالى ألقى نور محمد – ﷺ – كبذرة إلى أرض العدم، وهذا الوجود نشأ من ذلك النور ومن تلك البذرة، وإن شئت فقل: الإلكترونات قد تشكلت منه وعالم الذر انبثق عنه"(١).

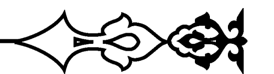
٢ – وقوله عن النبي – ﷺ – : " واسمه " أحمد " هو أول كلمة افتتح فيها ألف كلمة " الله " الرمزية إنما هي " أحمد "ا ثم جاء اسم " محمد " قافية لشعر الكونا والكون بدأ بالحقيقة الأحمدية ووصل إلى الحقيقة المحمديةا فهو هناك " أحمد" وهنا "محمد" وهكذا اكتمل شعر الإنسانية ونظمه وقصيدته "(٢) .

٣ –ـ وقد اطلق كولن على النبي – ﷺ – مصطلحات عدة منها الإنسان الأفق ، والرسول القطب ، وسلطان الانبياء كما اطلق عليه – ﷺ – أيضا الإنسان الكامل وجعله الجوهر الأول للعوالم الجسمية والروحية يقول " هو الإنسان الكامل الحقيقي المستودع الامين على علم الذات، والصفات، والأسماء هو منذ التعين الاول مهاجر أفق الإنسان بعنوان " أحمد "، وضيف المدينة من مكة باسم "محمد "، وصاحب لواء الحمد من البرزخ باسم " محمود " وقيم أستار الجنة، وجمال الله، ومنهل فيض العوالم الروحانية، والجوهر الأصل لعالم الجسمانية

---

(١) كولن، خواطر من وحي سورة الفاتحة ١٠٨.

(٢)المصدر السابق، ١٢٠.



بأسمائه الشريفة كلها " [1]

٤ -ـ ويقول كولن: - في غلوه وإطرائه النبي - ﷺ -: " القول الفصل الأخير حول حقيقة الله والكون والانسان هو لحضرة محمد - ﷺ - الذي هو شجرة الوجود والعلة الغائبة لكتاب الكائنات' وأقوى صوت للدعوة إلى الحق سبحانه إنه هو المخبر الأخير عن الغيب وعن غيب الغيب وهو المفسر السديد للأشياء والأحداث هو الأول والأقرب إلى الحق جل وعلا والأخير والأعظم أمانه من وجهة أخرى، نوره الأول سباق الأنوار وطوفان ضوئه الأخير هو ظهوره في العالم الخارجي' هو فهرست الآفاق والأنفس ولب الوجود وعصارته' وأضوأُ ثمار شجرة الخلق من حيث الغاية.

سيد الإنس والجن أجمعين باسم الخالق الجليل، هو فوق الوصف أبدا من حيث جوهره وموقعه' لا نظير له باعتبار ذاته وشهرته تمتد إلى ما قبل آدم النبي - عليه السلام -' أفقه كمرصد تهرع إليه الأرواح الصافية المتطلعة إلى اللانهاية الأزمنة كلها لا تعدل لحظة من لحظات عمره' به تحرك أولاً تسطير القلم المقدس' وبه تحقق البرنامج البشري' وهو البرهان الصريح الأبهى لسلسة النبوة على الوجود الحق وهو أول مرآة مجلاة لحضرة ذاته سبحانه وتعالى' هو أصفى وأشف محل لتظاهر الصفات الإلهية.

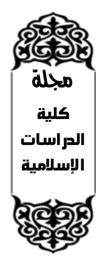
وهو أفصح ترجمان قالي وحالي للحق سبحانه' وهو رحمة الله تعالى المجسمة في الدارين' ورمز إتمام ألطافه ونعمه علينا. وبه عرفت أسرار الألوهية كلها بكل وضوح' وكل الأمور التي علمها النبي آدم عليه السلام إجمالاً' به أدركت التفصيل التام' وهو محل التجلي للروح الأعظم' فهو النقطة المركزية للأسماء الإلهية والصفات السبحانية وهو النجم القطبي في سماء النبوة، الظهور الأول والحقيقة الإجمالية ترعرعتا مرتبطين، به العناية الإلهية المجسمة الأخيرة، به عبر عنها' هو أول رمز للأول، وهو مرآة الآخر الباثة للأنوار.

---

(١) كولن، ونحن نبني حضارتنا، ١٦٥.



إلى أن قال: لولاك ما كان لنا ولا للكائنات معنىً إليك سلمت مفاتيح الدارين بالتقدير الأول والتسليم الآخر، إلى أن قال: وإذ تنعكس أصداء صوتك الداودي أناشيد في كل العالم فهل من حاجة إلى داود عليه السلام ؟ وما دام القول قولك أفلا يعد كلام متحدث غيرك وقاحة ؟ ونحن الساقطون أرضا ليقيمنا على أقدامنا غيركً وظه-ر الإنساني-ـة المقص-وم المحدودب لن يقوم-ه شيء إلا همت-كً أنت إكسير حياتنا"[1] .



٥ -ـ ويقول الأستاذ كولن في سياق حديثه عن حقيقة الله والكون والإنسان والعلاقة بينهماً يقول: "هو لحضرة محمد - ﷺ -ـ الذي هو شجرة الوجود، والعلة الغائية لكتاب الكائنات وأقوى صوت للدعوة إلى الحق سبحانه" [2].

ومن النصوص السابقة وغيرها كثير في كلام كولن ندرك إيمانه بفكرة الحقيقة المحمدية بمعناها التي جاءت به عند الصوفية، ولا يختلف عنهم إلا بتعبيراته بلغة عصرية واضحة إلى حد ما، مستخدما فيها مصطلحات الصوفية والفلاسفة، كتعبيرة عن النبي - ﷺ - بأنه علة غائية للوجود، بمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لأجل محمد - ﷺ ـً فالعلّة الغائيّة عند الفلاسفة تعنى: "ما يوجد الشيء لأجله" [3].

---

(١) المصدر السابق، ١٤٣-١٧١.

(٢)كولن، ونحن نبني حضارتنا، ١٤٤.

(٣)سيف الدين الآمدي، المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين. تحقيق د/ حسن محمود الشافعي، ناشر مكتبة وهبة ط/ الثانية. ١٢٣.





الخاتمة

وتشتمل على

أولا ـ أهم نتائج البحث.

ثانيا ـ ثبت أهم المراجع والمصادر.

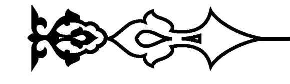
ثالثا ـ فهرس محتويات البحث .

وبعد هذه الجولة في أعمال وكتابات الأستاذ محمد فتح الله كولن، ندرك مدى حضور الجانب الصوفي فيها، فالتصوف باد في حياته وفكره، ظاهر في حاله ونطقه، وقد أنكر هذه الحقيقة كثير من محبي كولن، واحتجوا على ذلك بأمور أعظمها نفي كولن ذلك عن نفسه، في قوله " إن هذه الطرق الدينية هي مؤسسات ظهرت باسم تمثيل الصوفية بعد ستة قرون من عهد نبينا – ﷺ – ولها نظمها، وقواعدها الخاصة بها، وكما أنني لم أنضم قط لأية طريقة صوفية لم تربطني أيضا أية علاقة بأي منها قط ".(١)

وحديث كولن هنا لا يتعارض مع ما أثبته البحث من أن لديه نزعة صوفيه لا بالمعنى المتعارف عليه من أنه صوفي منتمى إلى شيخ وطريقة، لكنه صوفي بمعنى أنه يطبق أفكار ومبادئ الصوفية في فكره وحياته، فهو صوفي على طريقته الخاصة، كغالبية الصوفية الكبار الذين لا ينتمون إلى شيخ وطريقة .

وقد تميز كولن في عرضه للتصوف وقضاياه بلغة عصرية سهلة، وكان تجديده في مزج روح التصوف في سائر فكره حيث مزج بين العقل والقلب، ومن ذلك أيضا: أنه جمع في كتاباته الصوفية بين القديم والحديث، فاستشهد بقدامي الصوفية وبالمحدثين منهم خاصة الأتراك .

(١) السلام والتسامح في فكر كولن، زكي ساري توبراك ٣٨ .



أولا ـ أهم نتائج البحث.

إنه وعلى الرغم من نفي محمد فتح الله كولن أن يكون رجلا صوفيا، فإن تفاصيل حياته وكتاباته ليكشف عن نزعة روحية مغرقة في التصوف، وقد ظهر ذلك من خلال البحث فيما يلي :-

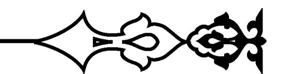
١ - البناء النفسي والفكري لكولن، وتمثل ذلك في المحيط الأسرى، الذي جمع بين كل من عاش فيه الزهد والورع ورقة القلب، علاوة على شيوخة الذين تربى على أيديهم منذ الطفولة وحتى الشباب، فقد كان شيخه المباشر" الشيخ ألوارلي أفه "صوفيا، وشيخه الذي تربى على كتبه ذو نزعة صوفية ظاهرة وهو الشيخ بديع الزمان النورسي.

٢ - ومن مظاهر الجانب الصوفي في حياة فتح الله كولن نهجه منذ بداية حياته منهج الزهد والتقشف، ورفعه شعار الحزن والبكاء حتى لُقب بالبكّاء، وعزوفه عن الزواج، ومدح العزوبة وهو منهج الصوفية، علاوة على عزلته وخلوته في بعض فترات حياته.

٣ - ومما يبرز نزعة الأستاذ كولن الصوفية؛ اهتمامه بالتصوف، واعتباره طريقا مفتوحا إلى تشرب شهد المعرفة الإلهية، لذا لا يمكن تصور الإسلام بدونه، فبه نصل إلى الحقيقة الإلهية، وهو الطريق الوحيد أمام مرور الفرد من الباب الذي فتحه المعراج النبوي.

٤ - احترام وتوقير الأستاذ كولن للصوفية جميعا حتى المختلف عليهم ؛ فهم عنده الكاملين، والعمالقة، والأولياء، والأقطاب المطلعون على عالم الغيب، وهم من فتحوا قلوبهم على العالم اللانهائي، وسبحوا في عالم الملكوت، وحلقوا في عالم الذرى، لذا فقد أعادوا القلوب بعد التيه، وأناروا الدنيا بعد ظلامها.

٥ - ويكثر في كتبه من مصطلحات التصوف مثل: العشق، الجذبة، اللذة الروحية، العارف، علم الحال، الكرامة، التكايا والزوايا، الأسرار الإلهية، العـرفان، الوجد، الواصلين، الأذواق، الشوق، الهيام، التجليات الإلهية، الإنسان الكامل، الفيض الأقدس، الفيوضـات، سـر الأحدية، القطبية، فدائي



المحبةا الحكمةا الفناء.

٦ - ومما يؤكد على صوفية الاستاذ كولن؛ إعتماده مصادر الصوفية في تلقي مسائل الدين، فيعتمد الكشف الذي يعنى كشف الحجب والاطلاع على الغيب، كما أقر الذوق كمصدر للمعرفة؛ فبالذوق ينتقل الإنسان من عالم الشهادة إلى الاطلاع على عالم الغيب، وكذا الإلهام الصوفي؛

٧ - ومن صوفية الأستاذ كولن أيضا، حديثه المطول في كتبه عن الاحوال والمقامات الصوفية، بل وتخصيصه كتب بكاملها كالتلال الزمردية في ذلك، ويعالج جميع المصطلحات معالجة روحية يسبق فيه محققي الصوفية، وقد جاء فيها متابعا ومتأثرا بالقشيري في رسالته، وسار على نفس طريقته في معالجة أحوال ومقامات الصوفية.

٧ - ومما يجعلنا نرجح أن الأستاذ كولن صوفياً؛ رأيه في نظريات التصوف الفلسفي، فقد تعرض لهذه النظريات عند من قال بها بالشرح والتحليل، وحاول جاهدا أن يجد مخرجا لهم، فأحال كل ما صدر عنهم في ذلك إلى أحوال وأذواق، علاوة على أنه آمن ببعضها بالمعنى الصوفي كنظرية الحقيقة المحمدية .

ثانيا : ثبت أهم المراجع والمصادر.



أولا: القرآن الكريم والسنة النبوية .

ثانيا: كتب الأستاذ محمد فتح الله كولن :

١ ـ أضواء قرآنية في سماء الوجدان، ط/ دار النيل، الخامسة ٢٠١٠م .

٢ ـ إشراقات الأمل في دياجي الحزن والأسى، ترجمة عبد الرازق أحمد، عبد الله محمد عنتر، ط/ دار النيل، الأولى، بدون تاريخ.

٣ ـ التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، لمحمد فتح الله كولن، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط/ دار النيل للطباعة والنشر، ط/ الخامسة، ٢٠١٢م / ١٤٣٣هـ.

٤ ـ الجرة المشروخة، شد الرحال لغاية سامية، ترجمة عبد الله عنتر، د. عبد الرازق أحمد، ط/ دار النيل، ٢٠١٤م.

٥ ـ جيلنا واشكالاته العصرية، ترجمة أورخان محمد على، د.عبدالله محمد عنتر، ط/ دار النيل، الاولى، ٢٠١٦م .

٦ ـ خواطر من وحي سورة الفاتحة، ط/ دار النيل للطباعة والنشر، ط/ الاولى، ٢٠١٥م.

٧ ـ سلسة أسئلة العصر المحيرة ٢، نحو عقيدة صحيحة، ترجمة أورخان محمد على، عبد الله محمد عنتر، ط/ دار النيل، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.

٨ ـ عقبات في سبيل الحق، ترجمة عبد الرازق أحمد، ط، دار النيل، الأولى، ٢٠١٦م، ٦٠، وإشراقات الأمل.

٩ ـ القدر في ضوء الكتاب والسنة، ترجمة إحسان قاسم الصالحي،ط/ دار النيل، الخامسة، ١٤٣١هـ .

١٠ ـ الموازين أو أضواء على الطريق ، ترجمة أورخان محمد على، ط/ دار النيل للطباعة والنشر، ط/ التاسعة ٢٠١٣م .

١١ – مواقف في زمن المحنة، حوارات إعلامية، إعداد صابر المشرفي ونوزاد صواش، ط/ دار



النيل، الأولى بدون تاريخ .

١٢ – النور الخالد، محمد ـ ﷺ ـ مفخرة الإنسانية، ط/ دار النيل، الأولى ١٤٢٨ه.

١٣ – ونحن نبني حضارتنا، ترجمة عوني عمر لطفي أغلو، ط/ دار النيل، الثانية، ١٤٣٣ه .

ثالثا: كتب أخرى :

١٤ – أشواق النهضة والانبعاث، قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن، د. محمد جكيب، ط/ دار النيل، القاهرة ، الأولى ١٤٣٤ه– ٢٠١٣م ،

١٥ – إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد الغزالي ٥٠٥هـ، ط/ دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط/ الأولى، ٢٠٠٥ م.

١٦ – الانبعاث الحضارى في فكر فتح الله كولن، د/ سليمان العشرتي، ط/ دار النيل، القاهرة، ط/ أولى ١٤٣٣هـ .

١٧ – الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي ٧٦٧ – ٨٠٥هـ ط/ دار الكتب العلمية لبنان بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م. ٣٤

١٨ – الانسان الكامل، محي الدين ابن عربي، ، ط/ الثانية ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، ٨ .

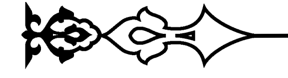
١٩ – الحلاج الأعمال الكاملة، كتاب الطواسين قاسم محمد عباس، ط/ مكتبة الأسكندرية ط/ أولى ٢٠٠٢ م .

٢٠ – التجديد في الفكر المعاصر في تركيا، نموذج دعوة محمد فتح الله كولن، أبو زيد عبد الرحيم عبد العاطي، رسالة ماجستير، مصر ٢٠١٠، غير مطبوعة .

٢١ – التجليات الالهية، محي الدين محمد بن على المعروف بابن عربي، تحقيق عثمان إسماعيل يحي، نشر: مركز دانشكاهي طهران إيران ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

٢٢ – تحقيق ما للهند من مقولة، البيروني طبعة حيدر آباد – الدكن ١٩٥٨ م .

٢٣ ـ التصوف الشعبي في الأدب التركي، حمزة طاهر، بحث بمجلة كلية الأداب جامعة القاهر، مجلد ١٢، جزء ٢، عام ١٩٥٠.



٢٤ ـ التعرف لمذهب أهل التصوف، محمد بن اسحاق الكلاباذي ت ٣٨٠هـ، نشر أرثرجون أربري، ط/ مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط/ الثانية ١٤١٥هـ .

٢٤ ـ تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا١٣٥٤هـ، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م ١٩/٧.

٢٥ ـ تلبيس إبليس، جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي ٥٩٧ه-، ط/ دار القلم بيروت لبنان،ط/ أولى ١٤٠٣ه-

٢٦ ـ خوجا افندي: محمد فتح الله البسام الأناضولي، إبراهيم البيومي غانم، مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، القاهرة، ١٩- ٢١ أكتوبر ٢٠٠٩، ط/ دار النيل ١٤٣٢ه-٢٠١١م .

٢٧ ـ رسالة التوحيد، إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، نشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط/ الأولى، ١٤١٧هـ .

٢٨ ـ الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: دكتور عبد الحليم محمود، ودكتور محمود بن الشريف، نشر: دار المعارف، القاهرة .

٢٩ ـ السلام والتسامح في فكر كولن، زكي ساري توبراك، ط/ دار النيل، الأولى ٢٠١٧ه .

٣٠ ـ سير أعلام النبلاء، محمد بن احمد عثمان الذهبي، ط/ مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٣١ ـ شرح القواعد الفقهية، الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الزرقا ١٣٥٧ه، ط/ دار القلم، بدون تاريخ.

٣٢ ـ شفاء السائل وتهذيب المسائل، عبد الرحمن ابن خلدون، تحقيق د/ محمد مطيع الحافظ، ط/ دار الفكر المعاصر بيروت – لبنان ط/ الاولى ١٤١٧ هـ .

٣٣ – الصوفية في الإسلام ، د / ر . ا . نيكلسون ، ترجمة وتعليق نور الدين شريبه نشر مكتبة الخانجي ، ط/ الشركة الدولية للطباعة بالقاهرة ط/ الثانية ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .

٣٤ - الضاربون في الأرض، أديب الدباغ، ط/ دار النيل، القاهرة، ط/ أولى ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢ م .

٣٥ - الطبقات الشعراني، عبد الوهاب الشعراني، تحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السايح، والمستشار توفيق على وهبة، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ط / الأولى/ ٢٠٠٥م .

٣٦ - طبقات الصوفية، محمد بن الحسي النيسابورى السلمي ت: ٤١٢ هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط/ الأولى ١٤١٩هـ ،

٣٧ - العروج الحضاري، بين مالك بن نبي، وفتح الله كولن.د. فؤاد عبدالرحمن البنا، نشر إدارة البحوث والدراسات الإسلامية - قطر ، كتاب الأمة ١٥٥ ، ط/ أولى ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣ م .

٣٨ - عوارف المعارف، شهاب الدين السهروردي ت ٦٣٢، تحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السايح، م توفيق على وهبة، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ط/ الاولى، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م.

٣٩ - عودة الواصل دراسات حول الإنسان الصوفي د سعاد الحكيم ط/ دار دندرة للطباعة والنشر، ١٩٩٤م ١٣٦ .

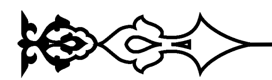
٤٠ - فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية، محمد أنس أركنه، ط/ دار النيل ط/ الاولى ٢٠١٠م .

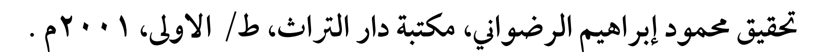
٤١ - فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر، ارطغرول حكمة ، ط/ دار النيل، الاولى، ٢٠١٣ .

٤٢ - الفتوحات المكية، محي الدين محمد بن على المعروف بابن عربي، ط/ دار الكتب العربية الكبرى بمصر، بدون تاريخ .

٤٣ ـ فصوص الحكم، للشيخ محي الدين ابن عربي، تعليق د/ أبو العلا عفيفي ط/ دار الكتاب العربي بيروت لبنان، بدون تاريخ .

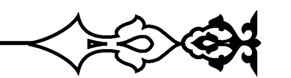
٤٤ -ـ قوت القلوب في معاملة المحبوب، أبو طالب المكي محمد بن على بن عطية، ٣١٦هـ،





تحقيق محمود إبراهيم الرضواني، مكتبة دار التراث، ط/ الاولى، ٢٠٠١م .
٤٥ - الكلمات، بديع الزمان النورسي، الكلمة الثاني والثلاثون، الموقف الثاني، الرمز الرابع
٤٦ - اللمع، أبو نصر السراج الطوسي، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، ط/ دار الكتب الحديثة مصر، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م .
٤٨- سيف الدين الآمدي، المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين. تحقيق د/ حسن محمود الشافعي، ناشر مكتبة وهبة ط/ الثانية .
٤٩- مدخل إلى التصوف، د. أبو الوفاء التفتازاني، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، الثالثة بدون تاريخ .
٥٠ - معجم اصطلاحات الصوفية، تصنيف عبد الرازق الكاشاني ت٧٣٠هـ تحقيق د/ عبد العال شاهين، ط/ دار المنار بالقاهرة، الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .
٥١ - معجم التعريفات، على محمد السيد الشريف الجرجاني ٨١٦هـ، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، بدونذكر تاريخ الطبعة ومكانها.
٥٢ ـ معجم مصطلحات الصوفية، د. عبد المنعم الحفني، ط/ دار المسيرة بيروت ، لبنان، ط/ الثانية، ١٤٠٧هـ.
٥٣ - محمد فتح الله كولن ومنهجه في التجديد والإصلاح " ، د/ جمال جمعه السفرتي الإمام بدون ذكر تاريخ الطبعة ومكان الطبع والمطبعة.
٥٤ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. على سامي النشار، ط/ دار المعارف، القاهرة ، ط/ التاسعة .
٥٥ - نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، د/ عرفان عبد الحميد فتاح، ط/ دار الجيل بيروت، الاولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.








مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية